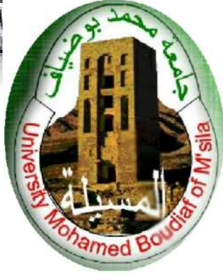
الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف– المسيلة



كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرمز التسلسلي

رقم التسجيل:B/MD/12/048

الغربة والاغتراب في رواية غائب طعمه فرمان

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر

الميدان: لغة وأدب عربي فرع: أدب عربي تخصص: أدب عربي حديث

إعداد الطالبة:

– بن عيش زهرة

إشراف الأستاذ:

– تيس ناصر محمد الحسيني

السنة الجامعية: 2015/2014م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

"رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين" .

الحمد لله الذي نوّر عقولنا بالفهم ويسر لنا سبل العلم .

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه .

شكر نرفعه إلى المولى العلي القدير الذي ألهمنا الصبر في هذا البحث .

الشكر كل الشكر للأستاذ المشرف "تيس ناصر علي محمد الحسيني"

شكرا إلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد .

مقدمة

مقــدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ،ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أما بعد:

يعد موضوع الغربة والاغتراب من المواضيع الهامة التي نالت حيزا في الدراسات الأدبية الغربية والعربية على حد سواء، فظاهرة الغربة والاغتراب لصيقة بالوجود الإنساني وملازمة له، ولذلك نلحظ انعكاساتها في الأعمال الأدبية بصفة عامة، وفي الرواية خاصة، وهذا لما تحمله من خصوصيات، لأنها تظل ترجمة للإحساس والعواطف والأفكار، وميدانا رحبا لهواجس الإنسان وتعبيراً أصيلاً عن خلجات النفوس، لأنها تعكس تجارب الروائي الحزينة والمؤلمة بشكل صاف، ولأن الرواية كانت ولا تزال تجسيداً أو استجابة إنسانية لرؤية العالم، فقد كانت أكثر صلة بظاهرة الغربة والاغتراب وأفصح في التعبير عنها وأدق في تصويرها، والدارس والمتأمل في الأدب العراقي الحديث وخاصة في فترة الخمسينيات من القرن العشرين يلاحظ ظهور وبروز العديد من الأدباء والقصاصين العراقيين على الساحة الأدبية، وكانوا أهم رموز جيل الخمسينيات وأشهرهم: عبد الملك النووي، وفؤاد التكرلي، وشاكر خصباك، ومهدي عيسى الصكر، وغائب طمعة فرمان.

ولعل ما ساعد على إتساع آفاق هؤلاء الأدباء والقصاصين وتعميق وعيهم الفكري والفني، هو إطلاعهم على التيارات والمدارس الفكرية والفنية للحياة الثقافية في أوربا بعد الحرب العالمية الثانية، نذكر منها تيارين تجلى تأثيرهما واضحا في نتاجات أولئك الأدباء وهما: التيار الماركسي، والتيار الوجودي.

وهنا كان أثر الوجودية في فؤاد التكرلي أكثر وضوحا، وكانت الماركسية هي المؤثرة في بلورة وعي غائب طمعة فرمان للواقع وحركته وفي رؤيته القصصية لهذا الواقع وهو ما يتجلى بوضوح في ما نشره من قصص وروايات

وإن أهمية غائب طمعة بالنسبة للأدب العراقي الحديث لا تكمن في قصصه وإنما تكمن أساسا في رواياته، ولعل ما رسخ هذا الاعتقاد هو النجاح الباهر الذي نالته هذه الرواية. بحيث سرعان ما ثبت اسمه في ميدان كتابة الرواية، على أنه من الروائيين العراقيين البارزين، وله مكانة متميزة بين الروائيين العرب المعروفين، وهنا يبدو أن غائب هو نفسه قد اقتنع من جراء ذلك، بأن الرواية تمثل النوع الأدبي الأكثر إتساعاً وقدرة على التعبير عن الواقع وما يتخلله من أحداث، ومن هنا فقد كرس له القدر الأكبر من نشاطه الإبداعي.

ويعد غائب طمعه فرمان هو من بين الروائيين الذين جسدوا فكرة الغربة والاغتراب في رواياتهم، وهذا ما جعلني ألتفت فيه في هذه الدراسة وبالتالي:

– ما مفهوم الغربة والاغتراب في روايات غائب طمعه فرمان، وماهي أنواعها وماذا عن غائب طمعه فرمان؟ وكيف استطاع أن يجسد فكرة الغربة والاغتراب في رواياته الثمانية؟ وهل نجح في ذلك يا ترى؟

– وهذا ما حاولت الإجابة عنه في هذه الدراسة ، حيث اتبعت المنهج الوصفي التحليلي فكانت فاتحة الدراسة عبارة عن مقدمة، وفصلين ففي الفصل الأول قمت بإعطاء مفاهيم لكل من المصطلحين" الغربة"و" الاغتراب" من الناحية اللغوية والاصطلاحية.

وتطرقت إلى بيان أنواع وأشكال الغربة والاغتراب، فاستعرضت تلك الأنواع وبينت خصائص ومواصفات كل نوع منها، واتجهت في نهاية الفصل إلى بيان أهم الأسباب الدافعة للغربة والاغتراب.

– أما الفصل الثاني كان تطبيقياً، بحيث تحدثت فيه عن الروائي غائب طمعه فرمان وحياته، وتتبعت سيرته منذ ولادته في أحد أحياء بغداد القديمة الفقيرة، مع ذكر أهم المؤثرات والعوامل التي ساهمت في تكوين ثقافته وبلورة وعيه، وتحديد توجهاته الأدبية، وبعدما قمت بتسليط الضوء على مظاهر الغربة والاغتراب في روايات غائب، وبيان مفهومه الشخصي، وتصوره الخاص عن الاغتراب والغربة.

وكما تطرقت إلى تحليل رواياته الثمانيه، وذلك بالوقوف عند عناصرها من مكان وهو مسرح الرواية، والزمان الذي تجري فيه أحداثها ووقائعها، وحبكة الرواية، ومسار أحداثها، ثم تناولت شخصياتها الرئيسية، وتحليل الشخصيات المهمة في كل رواية، وبيان مظاهر الغربة والاغتراب في أفكار ومواقف وسلوك تلك الشخصيات المهمة، مع مراعاة تسلسل ظهور وصدور تلك الروايات وقد ذيلت هذه الدراسة بخاتمة تشتمل على أهم الاستنتاجات التي خرجت بها، وبعض الاقتراحات.

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر تمثلت في لسان العرب لابن منظور، أساس البلاغة للزمخشري، بالإضافة روايات غائب طعمة فرمان المتمثلة في النخلة والجيران، خمسة أصوات، المخاض، القربان وظلال على النافذة،الآم السيد معروف، المرتجى والمؤجل، المركب

وكما اعتمدت على مراجع منها: أدب المنفى والحنين إلى الوطن للدكتور أحمد النعمان وغائب طعمة فرمان روائيا لفاطمة عيسى جاسم .

كما واجهت مجموعة من الصعوبات التي ذللت بالبحث والمساعدات من طرف الزملاء والأساتذة

وفي الأخير أرجو أن تكون هذه الدراسة حلقة من حلقات البحث في أدبنا العربي فان أصبت فمن الله وإن أخطئت فمن نفسي.

الفصل الأول :

الغربة والاغتراب أنواعها وأسبابها

1 /التعريف بدلالة الغربة والاغتراب

2 /أنواع الغربة والاغتراب

3 /أسباب الغربة والاغتراب

التعريف بدلالة الغربة والاغتراب

أولاً: مفهوم الغربــة

الغربـة ظـاهرة اجتماعيـة قديمـة، بعرفها الإنسـان منذ أن وطـأت قدماه الأرض ومازالت تصاحبه بمآسيها إلى يومنا هذا، لأنها ضمن طبائعه، بل هي دافع ضروري من دوافعه، وهي ظاهرة غريبة تتشكل وتتميز من إنسان إلى آخر، بأشكال وصفات سلوكية عديدة. وفق مسببات ومصادر معينة، وقد كانت الغربة واضحة المفاهيم، واضحة الاستخدامات، والمصطلحات، لكن وفي عصرنا الحالي أخذت أشكالاً وصورًا سلوكية وتعبيرية مركبة ومعقدة، إذ أصبحت ظاهرة الغربة من أبرز الظواهر والمفاهيم إثارةً للنقاش والجدل اللغوي، وهذا راجع إلى العديد من التعريفات الحديثة التي رصدت لتحديد أبعاد مفهومها، إضافة إلى أوضاع الإنسان المستحدثة المأساوية جرّاء نكبات الحروب العالمية والإقليمية التي لم تنقطع، وما يصاحبها من ويلات وخراب وإبادة، وبناءاً على هذا فإنّ الدراسة تتركز على ظاهرة الغربة وكيفية تداخلها اللّغوي مع مصطلح الاغتراب الحديث، والمتداول بكثرة في الدراسات الأكاديمية، والبحوث اللغوية الغربية الحديثة.

أ- **الغربــة لغــةً**: إذا رجعنا إلى القواميس والمعاجم اللغوية، فإننا نجد أقوال مؤلفيها تتباين وتختلف حول الدلالة اللغوية لهذا المفهوم:

- فإن الزمخشري يذهب في كتابه" أساس البلاغة "إلى أن الغربة تعني البعد، كما تعني التواري والاختفاء عن الناظرين" غَرُبتْ الوحش في مغاربها أي غابت في مكانيسها "[1].

[1] الزمخشري، أساس البلاغة، دار الكتب المصرية، القاهرة، د ط، دت، مادة غرب.

ويذهب البستاني في " محيط المحيط"[1] أن الغربة تعني: المرة والبعد، ويُقال نرى غربة أي بعيدة. والغربة: النزوح عن الوطن، ويُقال: الغربة عن الحال، أي: عن حقيقة التعود عليه.

- وأما الفراهيدي، فقد أورد في معجمه" العين"كلمة الغربة، بمعنى الاغتراب عن الوطن،

وغرب فلان عنا يغرب غربا أي تنحى، وأغربته وغربته، أي نحيته. والغربة: النوى، البعيد، وأغرب القوم: انتووا، وغاية مغربة أي: بعيدة الشأو[2].

- وفي "تاج اللغة وصحاح العربية"[3] ذكر "الجوهري" إلى أن الغربة تعني الاغتراب،

-ويقول: تغرب، اغترب بمعنى غريب، وأيضا غُرُبَ(بضم العين والراء) وكما يقول طهمان بن عمرو الكلابي:

وما كان غض الطرف منا سجية ولكننا في مذحج غربان

والجمع: الغرباء، والغرباء، أيضا الأباعد، واغترب فلان إذ تزوج من غير أقاربه.

---

[1]بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، د ط، 1983، مادة غرب.

[2]الفراهيدي: كتاب العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار الرشيد، بغداد، ط2، 1980-1986، مادة غرب .

[3]الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية، تح، أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، د ت، مادة غرب.

وفي حين ذكرها: "ابن منظور"في " لسان العرب"[1]. في مادة غرب " غ ر ب " بمعنى الحركة الدائمة... والغَرْبُ: الذهاب والتنحي عن الناس، وقد غَرَبَ، يَغْرُبُ، غَرْباً، وأغْرَبَ غربة وأغربه نحاه".

ويحاول الجاحظ تفسير ظاهرة التشاؤم عند عرب الجاهلية بالغراب، والعلاقة المتداخلة بين الغربة والتطير بطير الغراب بقوله: " لزمه هذا الاسم (الغراب) إذا بان أهل الدار للنجعة، وقع في مرابيض بيوتهم يتلمس ويتقمم فيتشاءمون ويتطيرون منه إذ كان ليعتري منازلهم إلا إذا بانوا فسموه غراب البين"[2].

وعليه فهذا المصطلح العربي يفيد في أكثره معنى البعد عن الوطن وفراق الأهل، وهو معنى مكاني أكثر منه زماني كما نقرأ، وهذا المعنى حمله أول كتاب خاص بظاهرة الغربة والحنين في الأدب العربي، وهو كتاب"أدب الغرباء" لأبي الفتح الأصبهاني، الذي تتبع فيه ظاهرة الغربة من الناحية اللغوية وهنا يقول: " وقد جمعت في هذا الكتاب ما وقع إليَّ وعرفته وسمعت به وشاهدته من أخبار من قال شعراْ في غربته، ونطق به عما به منكربه، وأعلن الشكوى بوجده إلى كل مشرد عن أوطانه، ونازح عن أخوانه"[3].

ويقول في موضوع آخر: " ومن شأن الغرباء في الأسفار ومن نزحت به الدار عن إخوانه وأترابه، إذا دخل موضوعا مذكورا، ومشهدا مشهورا أن يجعل لنفسه فيه أثرا تبركا ذوي الغربة"[4].

---

[1]ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط6، 2006، مادة غرب.

[2] الجاحظ: كتاب الحيوان، تح، يحي الشامي، منشورات مكتبة الهلال، بيروت، ط3، 1990، ص315.

[3]أبو الفتح الأصبهاني: أدب الغرباء، تح: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديدة، بيروت، ط1، 1972، ص23.

[4]المصدر نفسه،ص23.

ويقول أيضا: " فقد الأحبة في الأوطان غربة، فكيف إذا اجتمعت الغربة وفقد الأحبة"[1].

ب- الغربة اصطلاحا:

يمكن القول إن ظاهرة الغربة ومفهومها قد جرى تداولها من قبل الأدباء والشعراء القصاصين، بدلالات مختلفة ومعان متباينة، حسب الأحوال، إلا أن تلك التنوعات يمكن ردّها إلى أساس يجمع بينها مؤداه: أن الغربة تتمثل في الشعور الذي يمكن أن يشعر به الإنسان عندما يغادر مسقط رأسه أو موطنه إلى مكان آخر، أو الشعور الذي يراوده الفرد حين يضطر للانفصال أو النزوح عن مجتمعه[2].

مسار الغربة عبر التاريخ:

أ/ الغربة في العصر الجاهلي: تذكر المصادر العربية أن الإنسان الجاهلي قد ربط الغربة بالعديد من المعاني التي تتعلق بها، ولعل أهمها نذكر:

- يذكر الجاحظ عن عرب الجاهلية كلاما كثيرا لتشاؤمهم من الغراب بمعنى: "الشؤم والشذوذ أو تحمل بعض الصفات النوعية لبعض المخلوقات التي كان يتطير منها الإنسان في الجاهلية" ومن كثرة "تشاؤمهم بالغراب اشتقوا من اسمه الغربة والاغتراب والتغريب والغريب"[3].

ولهم أمثال على هذا المنوال مثل قولهم(أغربُ من غراب) ومثله في أشعارهم عن مضر بن لقيط في قوله:

كَأنِّي وَأَصْحَابِي وَكُرِّي عَلَيْهِمْ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ نَشَاطٍ ومن تَشَأْمِ

---

[1]أبو الفتح الأصبهاني: أدب الغرباء، ص23-32.

[2]عبد القادر عبد الحميد زيدان: التمرّد والغربة في الشعر الجاهلي، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، د ت، ص07.

[3]الجاحظ: كتاب الحيوان، ص516-518.

غُرابٌ مِن الغِرْبَالِ أيَّام قُرةٍ رَأَيْنَ لِجَامًا بِالعَرَاضِ على وَضِيمٍ

لذا كان الغريب" صغير الغراب" نذير شؤم عند عرب الجاهلية.

ب/ الغربة في الدين الإسلامي:

إن ظاهرة الغربة عند الكائن الحي قديمة قدم هذا الكائن الإنساني الذي ارتبطت به، فقد عرفها وعانى من ويلاتها أبو البشرية آدم –عليه السلام– وذاق من ينابيع مرارتها قبل وبعد نزوله للأرض "وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَورْنَاكُمْ ثُمَ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ أُسْجُدُوا لْأدَمَ فَسَجَدُوا إلا إبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَاجِدِينْ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاّ تَسْجُدَ إذَا أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارِ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ» (القرآن الكريم: سورة الأعراف، 11-12).

–كما امتهن آدم عليه السلام في أصله ومركبات معرفة الأصيل" قال يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصل من حما مسنون". سورة الحجر: 32-33.

وتعاظمت بعدها مأساة آدم –عليه السلام– وازدادت غربته في الجنة، وما كان غير أكل الشجرة التي نهى عنها الله سبحانه وتعالى" ﴿وَقُلْنَا يَا آدمُ أُسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا، وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَجَرَةِ فَتَكُونَا مِنَ الظَالِمِينْ فَأَزَلَهُمَا الشَيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَا كَانَ فِيهِ وَقُلنَا يَا آدَمُ إهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدواً وَلَكَمْ في الأَرْضِ مُسْتَقَرٌ وَمَتاعٌ إلى حِينْ﴾". سورة البقرة: 35-36.

فكانت مأساة وبداية البدايات لغربة الإنسان الأول الذي ظلم نفسه، ونسي نواهي الله فغوى، فترك الجنة بائسا مغتربا، وهبط الأرض جارا وراءه فراقها إلى دنيا مليئة بالمتاعب والأحزان.

يقول صالح الشرنوبي:

أَتُفَاحَة سِرُ هَذَا الشَقَاءِ وَمِنْ أَجْلِهَا كُلِّ هذا البَلاءْ[1]

وقد جاء في الأثر أن الرسول- صلى الله عليه وسلم- قال: " قد بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء"

أ/" بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ": قيل ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: " الذين يصلحون إذا فسد الناس".

ب/ "بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء" قالوا: يا رسول الله ومن الغرباء؟ قال: الذين يزيدون خيرا وإيمانا وتقوى إذا نقص الناس من ذلك.

ج/ "بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء" قالوا: يا رسول الله ومن الغرباء؟ قال: ناس صالحون قليل في ناس كثير، ومن يعصيهم أكثر ممن يطيعهم[2].

- يتضح لنا أن الغرباء فئة قليلة من أهل الورع والإيمان والإصلاح والتقوى استجابت للرسول صل الله عليه وسلم ونأت بنفسها من الشبهات والشهوات حين أفتتن المسلمون بهاتين الفئتين، وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلْنَاسِ حُبُ الشَهَوَاتِ مِنَ النِسَاءِ وَالبَنِينِ والقَنَاطِيرْ المُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَهَبِ وَالفِضَةِ والخَيْلِ المُسَوَمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالحَرْثِ ذَلكَ مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُنْيَا وَاللهُ عِنْدَه حُسْنُ المَآبْ﴾، سورة آل عمران: الاية14.

---

[1] صالح الشرنوبي: الديوان، جمع وتقديم: علي أحمد بالكثير، الدار المصرية للطباعة، د ط، دت، ص26.

[2] محمد علي بيوض: الأحاديث القدسية الصحيحة، جمع وتقديم الشيخ: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، ط2، 2002، ص120.

وفي الرسالة القشيرية لابن هوزان بدأت الغربة: " عندما أخذ الإسلام في الاغتراب والترحال حتى عاد كما بدأ....فزال الورع وطوى بساطه، واشتد الطمع وقوى رباطه وارتحل القلوب حرمة الشريعة، فعدوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة"[1].

وكما ورد وصف جميل لأهل الدنيا وأهل الآخرة، وأهل الجنة ونعيمها، التي وعد بها الله المتقين الذين زهدوا في الدنيا ،وأهل الدنيا الذين رضوابها مستقرا ومقاما، قال تعالى﴿ يومَ يَتَذَكَرُ الإنْسَانُ مَاسَعَى، وَبُرِّزَتْ الجَحيمُ لِمَنْ يَرَى، فَأمَا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الحَياةَ الدُنْيَا فَإْنَّ الجَحِيمَ هِي المَأْوَى، وَأَمَا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَفْسَ عَنِ الهَوَى فَإِنَّ الجَنَةَ هِيَ المَأْوَى﴾، سورة النازعات: «35-41»

فالزهد في دنيا المؤمن، والفقر والإملاق والانقطاع للعبادة واعتزال الناس في أغلب الأوقات أسلوب حياةٍ مغترب.

– انطلق –ابن القيم الجوزية– ليشرح مفهوم الغربة في قوله: الغربة ثلاثة أنواعٍ: "غربة أهل الله وأهل سنته رسوله بين هذا الخلق وهي التي مدح رسول الله أهلها، وهذه الغربة قد تكون في مكان دون مكان آخر، ووقت دون وقت، وبين قوم دون قوم، لكن أهل هذه الغربة هم أهل الله حقاً، فإنّهم لم يأووا إلى غير الله، ولم ينتسبوا لغير رسوله، ولم يدعوا إلى غير ما جاء به، وغربةُ مذمومة وهي غربة أهل الباطل وأهل الفجور بين أهل الحق، فهي غربة بين حزب الله المفلحين....والغربة عن الأوطان"[2].

[1]ابن هوزان: الرسالة القشيرية، القاهرة، ط1، 1940، ص03.

[2]ابن القيم الجوزية: مدارج السالكين، تح: محمد حامد الفقي، دار الكتاب، بيروت، دط، 1973م، 196/3.

وهكذا فالغربة تعني عنده معنى الذهاب والتنحي عن الناس سواء لحق ذلك إنسانا شيطانيا وسط ملائكة أو العكس، فهو معنى لا يخرج عن التفسير الديني لهذه الظاهرة.

–وعلى ذلك تكون الغربة بالمعنى الإسلامي غربة واغتراب عن الحياة، ومظاهرها الاجتماعية الزائلة الزائفة، واغتراب النظام الاجتماعي العادل، وهنا نقول أن الغربة في معناها الديني: هو الترفُّع عن موبقات الدنيا.

ج/ الغربــة في المعاجم اللغوية الأجنبية

إن الغربة في اللغة اللاتينية تستمد معناها اللفظي من الاسمAlienationوهي مأخوذة من الفعلAlienatoالذي يعني تحويل شيء ما لمالكية شخص آخر، أو يتعلق به وهذا الفعل الأخير مستمدبدوره من صفة نهائية من لفظ Aliusالذي يعني سواء إسم أو صفة[1].

– وكما نجد معنى الغربة والاغتراب يتداخلان في المعاجم الأجنبية، عند الاستخدام الحركي الفونيPhono في اللغة الانجليزية والألمانية، حيث يفيد المعنى التغريب أو السطو أو السلب، فاللفظ الألمانيFremd يماثل اللفظ اللاتينيAlienus واللفظ الانجليزيAlien الذي يعني الانتماء إلى الآخر أو التعلق به[2].

ومما تقدّم نخلص إلى أن معنى الغربة من الناحية اللفظية في المعاجم العربية تعني القهر والنفي والتشريد، وفي المعاجم الأجنبية تفيد التغريب والسطو والسلب،

[1] ريتشارد شاخت: الاغتراب، ترجمة كامل يوسف حسن، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط1، 1980، ص67.
[2] المرجع نفسه، ص67.

وهذه المعاني قريبة في معناها من الجانب السلوكي، وقد لازمت الإنسان منذ أول الخلق إلى يوم الناس هذا.

كما نجد أن لفظ الغربة تتسع لكثير من المعاني الحسية والمعنوية، وان تعددت استعمالاتها فذلك راجع إلى أبعادها اللغوية العديدة.

– فالمعنى اللفظي الدقيق الألماني Fremdيماثل من ناحية المعنى اللفظي اللاتينيAlienusويعطي المعنى اللفظي الانجليزيAlien نفسه، الذي يفيد معنى الانتماء إلى الآخر أو التعلق به، وقد وظف هذا المعنى اللفظي أصلا ليشير بصورة حرفية إلى ماهو غريب أو أجنبي، ويظهر من الكتابات أن استخدام هذا المعنى الحرفي للمعنى الألمانيEnfrendeng الذي يفيد معنى الغربة، والمعنى اللفظي الانجليزيAlenation الذي يعني الاغتراب، وما اشتق منهما من معاني متماثلة للغاية واستعمل اصطلاح الغربة الألمانية شأن اصطلاح الاغتراب في الانجليزية في مختلف العصور، وفي اللغتين كان يعني الملكية واستخدام مخالف من الناحية اللغوية، فالتغريب المتضمن في هذا الاصطلاح لم يقصد به نهائيا النقل القانوني للملكية وإنما تلك الأنشطة التي أوردها العالم "جريم" أي "السطو والأخذ والسلب"

وكان المقصود في اللغة الألمانية الوسيطة، بذلك يتم تغريبه بصفة عامة بشيئ ينتمي إلى شخص آخر، ويتمثل في التغريب في عملية أخذه أو سرقته من ذلك الشخص، ومن بين الوصايا والشواهد التي تركها "جريم" بالقول: "بأننا لا ينبغي أن نقوم بتغريب أو انتزاع ممتلكات جيراننا"[1].

[1] ريتشارد شاخت: الاغتراب، ص68.

وكما استعمل اصطلاح"الغربة" في اللغة الألمانية الوسيطة أيضا بمعنى مماثل لاستعمال اصطلاح الاغتراب في اللغة الانجليزية فيما يهم اختلال العقل وفيما يتعلق بغياب الوعي والشلل المؤقت للحواس.

ومما تقدم يمكن القول أن اصطلاح الغربة قد تلاشى ولم يصبح له وجود منذ القرن التاسع عشر، وقد أمكن استعمال الغربة في زمن يعود إلى القرن السادس عشر، وفيما يتعلق بالغربة التي تسود العلاقات بين الأشخاص فقد استخدم "لوثر" بهذا المعنى في ترجمة للعهد الجديد، ولكن يبدو في القرن التاسع عشر فحسب، بدأ فعلا استخدام هذا المصطلح يحرز رواجا ملحوظاً، وعلى أية حال فإن" هايني"يشير في كتاباته لعام 1890إلى أن هذا الاستخدام كان مألوفا للغاية منذ بداية القرن وهو ما يؤكد أن هذا الاستخدام لم يكن مألوفا قبل ذلك[1].

ثانيا: مفهـوم الاغتراب

يعد الاغتراب سمة بارزة في حياتنا المعاصرة، وهو من أكثر المواضيع التي يطرح تناولها إشكالات عديدة، أبرزها الغموض الذي يكتنف هذا المصطلح، وبالرّغم من أنّ ظهوره لم يكن حديثا، فجذوره ضاربة في القدم حيث تعرضت لدراسة مختلف العلوم كالفلسفة وعلم النفس والاجتماع، ومؤخراً كان له حضور في الفنون والآداب، إذ أننا لا نكاد نعثر على تعريف موحد له، ويتفق الباحثون عليه مما يدل على تعدد معانيه واتساعها والتباين الكبير في توظيفها، وبالرغم من هذا الغموض الحاصل فانّ كل المحاولات التي بُذلت حتى اليوم تدور حول" أمور معنية بالذات تشير كلها إلى دخول عناصر معينة في مفهوم الاغتراب مثل: الانسلاخ عن المجتمع والعزلة أوالانعزال والعجز عن التلاؤم، والإخفاق في التكيف مع الأوضاع السائدة في

[1]ريتشارد الاغتراب، ص68.

المجتمع، واللامبالاة، وعدم الشعور بانتماء، بل وأيضا انعدام الشعور بمغزى الحياة"[1].

أ- الاغتراب لغــةً

1/ **فـي اللغـة العربيــة:** يرد لفظ الاغتراب في المعاجم العربية بمعنى الغربة المكانية، أي البعد عن الوطن.

فقد جاء مثلا في" لسان العرب" لابن منظور في مادة غرب: "غَربت الشمس تغربُ غروبا ومُغيرَبانا: غابت في المغرب، والغرب: الذهاب والتنحي عن الناس، وقد غرب عنا يغرب غربا، وغرب وأغرب وأغربه: أي نحاه والغربة والغرب النزوح عن الوطن والاغتراب، واغترب الرجل نكح في الغرائب، وتزوج في غير أقاربه، وأغرب الرجل جاء بشيء غريب، وأغرب عليه، وأغرب به، صنع به صنعا قبيحا"[2].

- والمعنى نفسه يتكرر في المعجم المحيط[3]: الغُربة بالضم، النزوح عن الوطن وأيضا الاغتراب، ونجد أيضا غَرب: غاب، كغرب وبعد واغترب تزوج في غير الأقارب.

- ويرد هذا المعنى في كتاب" مقاييس اللغة لابن فارس"[4]، الغربة البعد عن الوطن، ويقال غربت الدار، ومن هذا الباب غروب الشمس، كأنه بعدها عن وجه

---

[1]قيس النوري: الاغتراب(اصطلاحا ومفهوما وواقعاً)، مجلة عالم الفكر، مج10، أفريل، ماي، يوليو، 1985، ص03.

[2]ابن منظور: لسان العرب، مادة غرب.

[3]الفيروز آبادي: المعجم المحيط، إعداد محمد عبد الرحمان المركشيلي، مادة غرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1997، مادة غرب.

[4] ابن فارس: مقاييس اللغة، تح، عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991، ج4/ص421.

الأرض وشأو مغرب أي بعيد، ويقولون هل من مغربة خير يريدون خيرا أتى من بعد.

- ويقول الإمام الشافعي عن الغربة والاغتراب[1]:

مَا فِي المُقَامِ لِذِي عَقْلٍ وَذِي أَدَبٍ وَمِنْ رَاحَةِ فَدعِ الأَوْطَانِ واِغْتَرَبْ

ويقول أيضا:

تَغَرَّبَ عَنِ الأَوْطَانِ في طَلَبِ العُلَا وَسَافَرَ فَفِي الأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ

ويضيف زهير بن أبي سلمى: [2]

وَمَنْ يَغْتَرِبُ يَحْسِبُ عَدواً صَدِيقَهُ وَمَن لا يَظلِّمُ النَاسَ يُظْلَمُ

وَمن خلال تتبعي للمصطلح في المعاجم العربية لاحظت تعدد المعاني التي يتسع لها لفظ الاغتراب، ولكنني اخترت منها ما كان له صلة مباشرة ببحثي، فالاغتراب هو البعد عن الوطن والانفصال عن الآخرين جسديا، وهذا ما يمثل الجانب المادي من الاغتراب، وهنا اقتصرت أغلب المعاجم العربية عليه، ولم يرد في أي منها الجانب المعنوي، وهو الاغتراب النفسي سواء عن الذات أو عن الآخرين، في المجتمع بمعنى: " الاغتراب عن المبادئ والقيم والأفكار والتقاليد والأعراف التي يتمسك بها الناس في المجتمع"[3].

[1] الشافعي: الديوان، اعتنى به وشرحه عبد الرحمن المصطاوي، دار االمعرفة، لبنان، بيروت، ط2، 2005، ص27.

[2] زهير بن أبي سلمى: الديوان، اعتنى به وشرحه حمدوا طماس، دار المعرفة، لبنان، بيروت، ط2، 2005، ص70.

[3] بنعلي قريش: "الاغتراب في الشعر العربي الحديث"، (1920-1945)، رسالة دكتوراه، جامعة الجيلاني، سيدي بلعباس، 2006، 2007، ص15.

ونجد هذا المعنى عند الأصبهاني في قوله: " فقد الأحبة في الوطن غربة"[1]، وعند التوحيدي في قوله: " أغرب الغرباء من صار غريبا عن وطنه"[2].

ومن خلال هاتين المقولتين ندرك أن البعد عن الوطن ليس شرطا للاغتراب فقد يكون الإنسان داخل وطنه وبين أهله وخلانه ولكنه يشعر بالاغتراب عنهم، وذلك نتيجة لمجموعة من العوامل النفسية المتعلقة بالتركيب الخاص لشخصيته، مما يجعله غير قادر على التلاؤم مع ما يسود في مجتمعه من قيم، فالاغتراب النفسي هو أكبر اغتراب يعيشه الإنسان، لأنه قد يصل إلى درجة إحساسه بغربته عن نفسه وذاته.

2/ في اللغـة الأجنبية

سأتطرّق إلى مفهوم الاغتراب في كل من اللغتين الفرنسية والانجليزية بالإضافة إلى اللغة الألمانية.

- تعود أصول كلمةAliénation الفرنسية وكلمةAliénation الانجليزية اللتان تدلان على الاغتراب إلى الكلمة اللاتينية"Alenatio"، وهي اسم يستمد معناه من الفعل اللاتيني"Alienare" بمعنى ينقل أو يحول أو يسلم أو يبتعد، وهذا الفعل بدوره مأخوذ من كلمة لاتينية أخرى وهي"Alienus"والتي تعني الانتماء إلى الآخر، وهي مشتقة من Aluisبمعنى آخر[3].

[1] أبو الفتح الأصبهاني: أدب الغرباء، ص32.

[2] أبو حيان التوحيدي: الاشارات الإلهية، تح: عبد الرحمن بدوي، دار العلم، لبنان، بيروت، ط1، 1981، ص81.

[3] سهير عبد السلام: مفهوم الاغتراب عند هاربرت ماركيوز، دار المعرفة الجامعية، مصر، الأزايطية، د ط، 2003، ص21.

– وورد في اللغة الانجليزية المتداولة في العصور الوسطى" حيث كانت تفيد قيام شخص ما باختيار أو تغريب أو تجيير شيء يمتلكه كالأراضي والمنازل إلى الغير "[1].

وكما أنها تأخذ معنى الاضطراب العقلي حيث أن لفظAliène يعني الشخص المختل أو المعتوه الذي فقد القدرة على إدراك ماهيته" فمادام الشخص مختل عقليا فهو مغترب عن ذاته وعن العالم الخارجي"[2].

ويمكن استخدام لفظ الاغتراب بمعنى الغربة بين البشر، حيث أن فعل"Aliénare"يفيد معنى" التسبب في فتور علاقة ودية مع شخص آخر أو في حدوث انفصال"[3]. وبالتالي يصبح كل منهما غريبا عن الآخر، أي أنه يعيش حالة اغتراب.

–وكما أن أحد استخدامات هذه الكلمة يرتبط بما يتعلّق بالملكية، أي نقل ملكية شيء ما إلى شخص آخر، وهذا المعنى اللغوي يرد في معجم"Quillet" للغة الفرنسية " اغترب واستلب بمعنى التنازل عن الملكية"[4].

وفي اللغة الألمانية: لم ترد لفظة الاغتراب بالمعنى السابق أي: النقل القانوني للملكية ولكن وردت بمعنى"النقل بواسطة السطو والسلب والأخذ عنوة"[5]. وكما أن كلمة الاغتراب ترتبط بالغربةEntfremung وهذا الاصطلاح يعني التغريبvertremdung أو السطو أو السلب، وهو يضع اللفظ الألمانيFremd

[1] سالم بيطار: اغتراب الإنسان وحريته، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، طرابلس، د ط، 2003، ، ص26.
[2] إبراهيم محمود،: حول الاغتراب الكافكاوي" رواية المسخ نموذجا، عالم الفكر، م15، عدد2، 1984، ص80.
[3] إبراهيم محمود،: حول الاغتراب الكافكاوي" رواية المسخ نموذجا، ص79.
[4] سهير عبد السلام: مفهوم الاغتراب عند هاربرت ماركيوز، ص27.
[5] ريتشارد شاخت: الاغتراب، ص64.

مقابل اللفظ اللاتينيAliénusواللفظ الانجليزيAliènحيث يعني الانتماء إلى الآخر والتعلق به[1]، بمعنى أن أنتمي إلى غيري وأتعلق به وأصبح رهن إرادته، فالمصطلح الألماني يدل في معناه المباشر قبل توظيفه في مجال الفلسفة، على العملية التي يصبح فيها الشخص غريبا، والمعنى في اللغة الألمانية قريب من المعنى في اللغة العربية، وكما نجد مفاهيم ودلالات مختلفة للفظة اغتراب في القواميس الاسبانية وهي غالبا ما تصب في معنى الانتقال المكاني والنزوح عن الوطن، وكذا التي تدل على معنى عدم التوافق والانسجام مع اللحظة الأنية، وفي قاموس الأكاديمية ورد لفظ الغربة"exilio" بمعنى البعد عن الوطن، وأن الغريب"exiliodo"هو المبعد عن الوطن لأسباب سياسية بشكل عام، وكذلك من معانيها النفي عن الوطن، والانفصال عن الأرض التي يعيش فيها الإنسان[2].

– وبالتالي فان القواميس الأجنبية تكاد تجمع على ثلاث معاني للاغتراب وهي:

الأول: بمعنى نقل الملكية والثاني: الاضطراب العقلي والثالث: الغربة بين البشر.

وإذا قارنا المعنى اللغوي في اللغة العربية عن اللغة الأجنبية نجد أن العربية اقتصرت على الجانب المادي له" الغربة المكانية"، في حين الاغتراب ينطوي على هذا المعنى" الاغتراب النفسي".

ب– الاغتراب اصطلاحاً

يُعد الفكر الغربي سابقاً إلى بحث ظاهرة الاغتراب وتتبع أصولها ومنابعها الأولى خاصة في الكتابات الفلسفية اللاهوتية القديمة، وعند كثير من فلاسفة الإغريق لهذا

---

[1] ريتشارد شاخت، الاغتراب ص63

[2] أشرف علي دعدو: الغربة في الشعر الأندلسي عقب سقوط الخلافة، دار نهضة الشرق، القاهرة، د ط، 2002، ص19-20.

أردت أن تكون الانطلاقة منه، وهذا لا ينفي اهتمام الفكر العربي بموضوع الاغتراب حين نجد صداها في كتابات العديد من المفكرين والفلاسفة العرب، وهنا سوف أحاول أن أتقمص تطور الدلالات لهذا المصطلح سواء في الفكر الغربي أو العربي.

أ/ في الفكر الغربي:

الاغتراب ظاهرة إنسانية وجدت بوجود الإنسان، ولعله من أكثر المفاهيم التصاقا بالإنسان، "فهو من طبيعته بل يمكن القول أنه دافع من دوافعه الأساسية، يختلف من إنسان لآخر ومن مجتمع إلى آخر، ذلك لأنه يتلون بطبيعة صاحبه وبالمجتمع وما يحكمه من أنظمة ومؤسسات، وبطبيعة العصر وما يحتويه من قيم وأعراف ومعارف"[1].

– تشير بعض الدراسات إلى أنَّ الجذور الأولى للاغتراب هي جذور يونانية، وقد ورد هذا عن الكثير من مؤرّخي الفلسفة لكتابات أفلاطون فهو أول من أسس فكرة الاغتراب بوعي حيث يعد" فكرة بذاته أول اغتراب واعٍ، عندما قسم العالم إلى مطلق ووجود، والمطلق هو عالم المثل، والوجود هو عالم الضلال والصور المشوشة، ثم كانت جمهوريته تجسيدا لهذه الفكرة الاغترابية"[2].

– والواضح هنا أن ما كان أفلاطون يطمح إلى تحقيقه، هو إثبات الصورة التي كان يريدها لمجتمعه، والتي يكون عليها، حيث لم يشعر بالرضا عنه" فقد كان أفلاطون مغتربا بالنسبة لأخلاقيات عصره ومجتمعه، وما اعتبار الواقع ظلا لفكرة

[1] عمر بوقرورة: الغربة والحنين في الشعر الجزائري، "1945–1962" منشورات جامعة باتنة، د ط، د ت، ص13.

[2] عادل الألوسي: الاغتراب والعبقرية، دار الفكر العربي، مصر، القاهرة، ط1، 2003، ص12.

كانت تتمحور في ذهنه طوال حياته سميت بالمثال إلا تأكيداً على وجود الاغتراب"[1].

– لقد وجدت فكرة الاغتراب في أوربا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر لدى منظري فكرة العقد الاجتماعي اهتماما بالغا، ولعل "جون جاك روسو" هو أول من استخدم فكرة الغربة بمعناها السياسي"عندما نتحدث عن اغتراب حقوق الفرد الطبيعية لصالح المجتمع"[2].

فالفرد عندما يتخلى لأفراد آخرين عن حقوقه ودوره في ممارسة السيادة الخاصة به فإنه بهذا يأخذ طريقه إلى العزلة داخل وطنه، وهنا يأتي الشعور بالعزلة، التي هي مظهر أساسي من مظاهر الاغتراب، ولكن في نظر "جون جاك روسو" فإن هذا النوع من الاغتراب هو إيجابي لأنه يشمل على تضحية الفرد في سبيل تحقيق هدف نبيل يتمثل في قيام الدولة والمجتمع، ولن يتأتي هذا إلا عن طريق تخلّيه عن ممارسة السيادة الخاصة به." إن قيام الفرد بتغريب سيادته على ذاته، وتسليم هذه السيادة إلى الجماعة هو شرط ضروري لوجود الجماعة، وأنّ بنود العقد الاجتماعي يمكن اختصارها في بند واحد وهو التغريب الكامل من قبل كل عضو مشارك في الجماعة لكافة حقوقه والتنازل عن حريته الطبيعية، وبموجب هذه النظرية تتغرب الحقوق الطبيعية للفرد عن هذا الفرد وتنتقل إلى الدولة ويغدو الإنسان الذي كان حراً مستقلاً تابع للدولة بل وعبدا لها"[3].

---

[1] إبراهيم محمود: حول الاغتراب الكافكاوي، ص82.

[2] شتا السيد علي: الاغتراب في التنظيمات الاجتماعية، مكتبة الإشعاع الفنية، الإسكندرية، د ط، 1997، ص32.

[3] سميرة سلامي: " الاغتراب في الشعر العباسي القرن 4هـ"، دار الينابيع، دمشق، ط1، 2000، ص24.

وأما النوع الآخر من الاغتراب فهو سلبي ومختلف تماما عن المفهوم السياسي للاغتراب وهو يتعلّق بكتابات روسو في" سياق نقده للحضارة والمجتمع الغربي، فهو يرى أن الحضارة الغربية سلبت الإنسان ذاته وجعلته عبدا للمؤسسات الاجتماعية والنماذج السلوكية التي أنشأها"[1].

فالحضارة هي عامل من عوامل فساد الإنسان وفصله عن الطبيعة التي كانت توفر له الانسجام بين عالمه الداخلي وعالمه الخارجي، وبلحاقه بهذا التطور فقد انسجامه وتوافقه مع الطبيعة الأمر الذي أدى إلى تفاقم غربته بمعنى" أن هذا التطور يتميز بالتناقض الحاد الذي يوحد بين المجتمع في حالة اكتماله وبين النزوع الإنساني في حالة اغترابه"[2].

فالاغتراب السلبي يتمثل في" أن يتحول الإنسان إلى سلعة تطرح للبيع في سوق الحياة، أو بمعنى أصح أن يصبح الإنسان شيء من الأشياء يفقد الإنسان من خلال ذاته ووجوده الشرعي الأصيل[3]".

ولعلّ الجذور الاجتماعية لهذا المفهوم إنما تنتمي إلى طبيعة حياة روسو، فمن المعروف أن روسو عاش غريبا بين البشر، وكان يشعر بأنه غريب في العالم، إذ أن معارضته للمجتمع، وعدم رضوخه لمسلّماته الفكرية والاجتماعية والسياسية جعله يتمرد ويعتزل الناس وينطوي على نفسه[4].

ثم اخذ هذا المفهوم مسارا آخر مع هيقل حيث يعتقد أن" العالم الذي يعيش فيه الإنسان هو إلى حدٍ كبير من ابتكار أو اختراع الإنسان نفسه، وأن النظم السياسية

---

[1] بنعلي قريش: الاغتراب في الشعر العربي الحديث، "1920-1945"، ص15.

[2] عبد القادر عبد الحميد زيدان: التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، ص11.

[3] محمد إبراهيم الفيرمي: ابن باجة وفلسفة الاغتراب، دار الجبل، بيروت، ط1، 1988، ص62.

[4] زامل صالح: تحول المثال، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د ط، 2003، ص23.

والحضارية والاجتماعية تمثل الجوهر الاجتماعي الذي تمخّض عنه هذا الدور الإنساني[1].

- ويرى " ايريك فورم" أن هيقل هو أول من صاغ مفهوم الاغتراب، حيث يحدد هذا الأخير الاغتراب بأنّهُ:

- غربة الإنسان عن نفسه أي الفرد مغتربا عن ذاته، وذلك الاغتراب ناتج عن فقدان الكلية وتكون النتيجة تغريق النفس عن الطبيعة الجوهرية.
- غربة البنية الاجتماعية: وهي الوجه الثاني لغربة الفرد وانفصاله.

- والواضح أن الاغتراب الأول مردّه إلى التصادم بين الطبيعة الجوهرية للإنسان وبين وضعه العام، والثاني ناجم عن صلة الفرد بالمجتمع أو البيئة الاجتماعية المحيطة به ويرى هيقل أن الإنسان حتى يقهر الاغتراب عليه أن يندمج في هذه البيئة الاجتماعية وهذا باغترابه عن نفسه وذاته والانفصال عنها وهنا يتسنى له أن ينسجم مع الكلّية ويتوافق معها وعليه يحدث "اتحاد الفرد بالجوهر الاجتماعي نتيجة لتنازله عن فرديته[2]".

- وهنا عليه أن يقهر الاغتراب بالاغتراب، وبالتالي يصل الاغتراب إلى ازدواجية دلالة المصطلح الذي يحمل معنيين عنده:

- معنى ايجابي: ويتمثل في تخارج الروح وتجليها على نحو إبداعي.
- معنى سلبي: ويتمثل في عدم قدرة الذات على التعرف على ذاتها في مخلوقاتها من الأشياء والموضوعات، وهنا حصر هيقل الاغتراب في جانه السلبي[3].

---

[1] ريتشارد شاخت: الاغتراب، ص120.

[2] قيس النوري: الاغتراب (اصطلاحا ومفهوما وواقعا)، ص50.

[3] فاطمة محمد حميد السويدي: الاغتراب في الشعر الأموي، مكتبة مديولي، القاهرة، د ط، 1997، ص04.

– وأما " كارل ماركس" الذي عد الاغتراب الاقتصادي أصلا لجميع أنواع الاغتراب الأخرى، ويتخذ المفهوم عنده معنى أعمق وهو" الأكثر شيوعا وتأثيرا في الفكر المعاصر من أي مفهوم آخر، وربما يعود ذلك لبساطة ما يطرحه وإلى ارتباطه بالواقع المادي المباشر، خاصة وأنه يوظفه من النواحي الاقتصادية".

يتحدث عن اغتراب واقعي ملموس، وأفكاره مستخلصة من التناقضات الحادة بين الفرد وذاته، وبين الفرد وعمله وبين الفرد ومجتمعه، حيث يرى أن الرأسمالية جرّدت الفرد من إنسانيته وحولته إلى مجرّد سلعة، فقد أكد أن العامل مستغل وأنه مغترب في عمله في النظام الرأسمالي حيث يصبح منتوجه غريبا عنه[1].

وهنا "فالإنتاج يصبح موضوعاً غريباً بالنسبة لمنتجه ولا يشعر منتجه بأي رابطة به، وهذه العملية تولد اغتراباً شاملاً بسبب آلية الاستغلال التي يتحكم بها رب العمل"[2].

يعتقد كارل ماركس أن قهر الاغتراب مرهون بزوال الملكية الخاصة، وكما أنه يرجع ظهوره إلى الجوانب المادية في الحياة، ويهمل بواعثه المعنوية التي هي روابط يتصل الفرد من خلالها مع الآخرين، ومن خلال تتبعنا لما قاله ماركس نجد أنه يؤكد على أمرين هما:

- عندما يمارس الإنسان العمل في إطار رأسمالي فإنه يكون دائما في حالة اغتراب عن قواه الإبداعية.
- شعوره بالغربة نتيجة إحساسه بأن وجوده هو من أجل النتائج، بدلاً من أن يكون الإنتاج موجودا من أجله[3].

---

[1]قيس هادي أحمد: الإنسان المعاصر عند هاربرت ماركيوز، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1980، ص97.

[2]إبراهيم محمود: حول الاغتراب الكافكاوي، ص82.

[3]عبد القادر زيدان: الغربة والتمرد في الشعر الجاهلي، ص146.

- يعد كل من هيغل وماركس من أبرز المفكرين الغربيين الذين عالجوا موضوع الاغتراب ففي الوقت الذي كانت معالجة هيقل له مجرّدة بحيث ربطه بالعقل، كانت معالجة ماركس ملموسة حرّرت المفهوم من تجريدات العقل، وكما أن ماركس يعتقد عكس ما يعتقد هيقل بأن قهر الاغتراب يكون عن طريق الثورة ومحاربة المستغلين، لا عن طريق التخلي عن الذات والتسليم لها والاتحاد بالبيئة الاجتماعية.

ويتفق "إميل دوركايم" مع "ماركس"في كون الظروف الاقتصادية وتطورها قد أدت بالفعل إلى الاغتراب الناتج من وجهة نظره عن اضطراب في المعيار الاجتماعي الأخلاقي، فالاغتراب انبثق عن التحولات الاقتصادية التي طرأت على المجتمع بصورة فجائية وأدّت إلى قلق الفرد من مجتمعه وبؤسه منه[1].

فأصبحت المجتمعات قائمة عن التناقض بين حاجات الفرد وإمكاناته من ناحية ثم على فقدان المعايير الأخلاقية في مثل هذه المجتمعات من ناحية أخرى. مما يجعل الإنسان يشعر بالعزلة وعدم القدرة على التكيف مع ظروف الحياة الاجتماعية[2].

والواقع أن العديد من المفكرين الأوربيين المعاصرين تعاملوا لاحقا مع مفهوم الاغتراب كل حسب منظوره، ونجد ريتشارد شاخت يصف الاغتراب بأنه" شعار العصر" أو بأنه واحد من أضخم المشاكل التي تواجهنا اليوم معتبراً الإنسان المعاصر إنساناً أجوفا[3].

وتناوله " أريك فروم" من زاوية تكوين الشخصية[4]، وعده "نمط من التجربة يعيش الإنسان فيه كشيء غريب، ويمكن القول أنه قد أصبح غريبا عن نفسه أنه لا يعود

[1] قيس النوري: الاغتراب (اصطلاحا ومفهوما وواقعا)، ص27-28.

[2] عبد الكريم هلال خالد: الاغتراب في الفن، دراسة في الفكر الجمالي المعاصر، منشورات جامعة قارتونس، ط1، 1998، ص154.

[3] ريتشارد شاخت: الاغتراب، ص56-57.

[4] قيس النوري: الاغتراب (اصطلاحا ومفهوما وواقعا)، ص18.

يعيش نفسه كمركز للعالم ومحرك لأفعاله ولكن أفعاله ونتائجها قد أصبحت سادته الذين يطيعهم أو الذين قد يعبدهم"[1].

– أما بالنسبة للفلسفة الوجودية التي اهتمت بموضوع الاغتراب، فقد تفرّعت إلى شقين: الأول يمثل الفلسفة الوجودية المتدينة، والثاني يمثل الفلسفة الوجودية الملحدة، وهنا تختلف نظرتهم لظاهرة الاغتراب حيث أن الوجودية المتدينة تعتقد أن تجاوز الاغتراب يكمن في التسليم للدين المسيحي، أما الوجودية الملحدة ترى أن الاغتراب هو ميتافيزيقي الأصل، وأن الإنسان مهما حاول التخلص منه وقهره فإنه لن يفلح في ذلك، وهنا اختلفت الوجودية مع غيرها من العلوم والفلسفات الأخرى، وهذه العلوم ترى أن" الاغتراب ظاهرة عرضية تنشأ من ظروف نفسية واجتماعية وفي أوضاع اقتصادية يمكن تجاوزها"[2]. ولكن الوجودية ترى عكس ذلك لأنَّ الاغتراب مرتبط بطبيعة خلق الحياة لا بجوهر الوجود الغيبي وهنا يقول سارتر"أن الإنسان يوجد أولا وقبل أي شيء ويواجه نفسه وينخرط في العالم، ثم يعرف نفسه فيما بعد".

ب/ في الفكر العربي:

إن موضوع الاغتراب من المواضيع الهامة التي عبر عنها القرآن الكريم، إذ حملت آيات من الذكر الحكيم معنى الاغتراب، كاغتراب الإنسان عن الله واغتراب الإنسان عن الإنسان، فخروج آدم من الجنة وهبوطه إلى الأرض كان أول اغتراب في البشرية جمعاء، فكان أول اغتراب له، ومحنة الإنسان من الشيطان كان اغترابا آخر[3].

---

[1]مجاهد عبد المنعم مجاهد: الاغتراب في الفلسفة المعاصرة، سعد الدين للطباعة و والنشر، القاهرة، د ط، 1985، ص14.

[2]كاميليا عبد الفتاح: الشعر العربي القديم، دراسة نقدية تحليلية لظاهرة الاغتراب، أبو العلاء المعري، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، د ط، 2008، ص10-11.

[3]عادل الألوسي: الاغتراب والعبقرية، ص 3.

فإنسان اغترب عن ربه عندما عصاه فخرج من نعيم الجنة واغترب في أرض موحشة، ومن كرم الله عز وجل أن كان هذا الاغتراب في حدود المكان، حيث أنه قبل توبة آدم عليه السلام بعدما عصاه، وبعد أن كادت مشاعر اليأس والحزن والخوف والقلق والألم تستولي عليه، وقوله تعالى (فَتَلَقَى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلَمَات فَتَابَ عَلَيهِ إِنَهُ هَوَ التَوابُ الرَحِيمْ) ، سورة البقرة: الآية 37. وهنا خفت مشاعر الغربة والاغتراب لأن الإنسان كلما اقترب من الله إزداد إيمانه واطمئن قلبه مصداقا لقوله تعالى (الذِينَ أَمَنُوا وَتَطْمَئِنُ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُ القُلُوبْ). سورة الرعد: الآية 28.

وكان الأنبياء- سلام الله عليهم- ممن أدركتهم الغربة وهم يحملون الرسالة التي كلفهم بها الله تعالى بنشرها، فقد خرج سيدنا موسى -عليه السلام- من مصر هاربا من ظلم فرعون وقومه، وناجى ربه قائلا:[1] " يا رب إني وحيد مريض غريب.... " فناده ربه: يا موسى الوحيد من ليس له مثلي أنيس والمريض من ليس له مثلي طبيب، والغريب من ليس بيني وبينه معاملة[2]".

وهذا ما يؤكد المعنى السابق من أن قهر الاغتراب ومشاعر اليأس والقلق والتشاؤم لن يكون إلا بقرب الإنسان من الله، فالرسول – صلى الله عليه وسلم – ذاق الغربة في وطنه مكة، حيث تعرض لإستنكار أهل وطنه ومحاربتهم، لأنه جاء بالهداية الصحيحة التي تخالف معتقداتهم وشركهم وكفرهم بالله، فخرج من مكة إلى الطائف مجتنبا اضطهادهم، وعندما إشتدبه الألم توجه إلى ربه بدعائه الذي يفيض بمشاعر الغربة والآلام والحزن والإيمان ويقول: " اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة

[1] عادل الألوسي: الاغتراب والعبقرية، ص 4.

[2] ابن القيم الجوزية: مدارج السالكين، تح رضوان جامع رضوان، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2001، ص 371.

حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني أم عدو ملكته أمري"[1].

وقد كان المفكرون والفلاسفة العرب أيضا من أشد الناس معاناة لمختلف ضروب الاغتراب والعزلة في حياتهم، فالفارابي مثلا كان " منفردا بنفسه، لا يجالس الناس (...) وكان أزهد الناس في الدنيا، لا يحتفل بأمر مكسب ولا مسكن، وأجرى عليه سيف الدولة كل يوم من بيت المال أربعة دراهم، وهو الذي اقتصر عليها لقناعته "[2].

فاجتناب الناس واعتزال الحياة هو أحد النتائج الشعورية لظاهرة الاغتراب" وهذه الصورة التي تنقل لنا عن الفارابي تعلل لنا السبب الكامل وراء تأليفه المدنية الفاضلة فهي لون من الهرب من الواقع، ملائم جدا لعزلته، فمدنيته حلم طوباوي بمدنية حكماء مستقبلية، طالما رواد الفلاسفة منذ أفلاطون في جمهوريته إلى عصور قريبة[3] ".

إذا نستشف من خلال ذلك أنه لم يكن راضيا عن واقعه المعاش، واغترابه نابع من تجربته الحياتية وهنا الأمر نفسه عند أبي حيان التوحيدي الذي ورد عنده المعنى الشامل للغربة ببعديها المادي والمعنوي، حيث يقول: " فأين أنت من غريب قد طالت غربته في وطنه وقل خطه ونصيبه من جيبه وسكنه ؟ وأين أنت من غريب لا سبيل له إلى الأوطان ولا طاقة به على الاستيطان "[4].

ويقول أيضا في موضوع آخر محاولا أن يعطينا صورة صادقة عن الغريب فهو يمسك ريشته ويحاول رسم هذا الغريب ويعطي لنا صورة صادقة عن ملامحه ومسلكه في الحياة فيقول: " الغريب من لبسته خرقته، وأكلته سلقة، وهجعته خفقة

---

[1]محمد ناصر الدين الألباني: " ضعيف الجامع "، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة، الإسكندرية، مصر،دط –دت، 54/2.

[2]ابن خلكان: وفيات الأعيان، تح احسان عباس، دار صادر ، بيروت، د ط 1972،، 156/5.

[3]زامل صالح،: تحول المثال، ص 17 – 18.

[4]أبو حيان التوحيدي: الإشارات الإلهية، ص 79.

والغريب من غربت شمس جماله، واغترب عن حبيبه وعذا له وأغرب في أقواله وأفعاله وغرب في إدباره وإقباله، واستغرب في طمرة وسرياله! يا هذا الغريب من نطق وصفه بالمحنة بعد المحنة... الغريب من أن حضر كان غائبا، وإن غاب كان حاضرا الغريب من أنه رأيته لم تعرفه، وإن لم تره لم تستعرفه "[1].

وأبو حيان التوحيدي كان مثالا للمثقف المغترب في مجتمعه، الذي خاب أمله ورجاؤه فيه فهو " لم يحظ بالمكانة المرموقة التي تليق بمنزلته، ولذلك استوحشت حياته وعاش غريبا في مجتمعه "[2].

وهنا أحرق كتبه، فهذه النهاية المأساوية واحتجاج منه على وطنه الذي لم يوفر له الحياة الكريمة، بل ذاق فيه ألوان الفقر والحاجة والعوز الذي زاده من مشاعر الغربة لديه فكان أغرب الغرباء: " وأغرب الغرباء من صار غريبا في وطنه، وأبعد البعداء من كان بعيدا في محل قربه "[3].

وهنا التوحيدي لم يعرف في وطنه إلا الخوف والشقاء، وكذلك "ابن باجة" الفيلسوف الذي عاش في عصر أبرز سماته الضعف والانقسام، اللذين أثرا على حرية البحث حيث اضطهدا الفلاسفة وأحرقت كتبهم، وكما عرف ابن باجة الاغتراب بمختلف ضروبه " فاقتفى أثر فيلسوف المشرق الفارابي فأحب العزلة وأراد أن يعيش مغتربا عن الناس، وقد ضاق ذرعا بالحياة، وكانت غربته روحية، فلسفية وعقلية، وأكثر ظني أن اغترابه كان بالنسبة لي مصدر إمتاع ومؤانسة "[4].

وحيث كان اعتزال الناس والمجتمع هو سبيل المرء الوحيد للعيش الأمثل ووسيلته حتى يحي كما ينبغي ويسمى "ابن باجة" في كتابه تدبير المتوحد المتغربين

[1] حسن محمد حسن: الاغتراب عند أبي حيان التوحيدي، دراسة فلسفية من خلال الفكر الوجودي، مجلة فصول، القاهرة، العدد الثالث، 1995، ص 72.

[2] بن علي قريش: الاغتراب في الشعر العربي الحديث، ص 11.

[3] أبو حيان التوحيدي: الإشارات الإلهية، ص 80 – 81.

[4] عادل الألوسي: "العبقرية والاغتراب" ،ص 59.

(بالثوابت) وهم أولئك الذين حملوا معتقدا مخالفا لم يكن معروفا بين الناس أو خالفوا المجتمع في الأراء ويقول ابن باجة " أن الثوابت هم من لم يجتمع على رأيهم أمة أو مدنية، وهؤلاء هم الأغراب الذين غادروا أوطانهم، وظلوا هناك غرباء في عاداتهم وفي أرائهم وأفكارهم "[1].

فاختلاف هؤلاء الأشخاص في رؤيتهم وإيمانهم بأفكار وعادات غير تلك السائدة في مجتمعاتهم جعلهم مغتربين معنويا وبالتالي ماديا، وذلك عندما إضطروا لمغادرة أوطانهم فهم لم يعودوا يشعروا فيها بانسجام والتوافق، وفي مؤلفه رسائل ابن باجة الإلهية تتوضح أراؤه في الاغتراب من الوجهة الفلسفية، حيث يقول عن الثوابت: "هؤلاء هم الذين يعنيهم بالصوفية بقولهم الغرباء، لأنهم كانوا في أوطانهم وبين أترابهم وجيرانهم غرباء في آرائهم، وقد سافروا بأفكارهم إلى مراتب أخرى هي لهم كالأوطان"[2].

وهؤلاء المغتربين اتخذوا من أفكارهم وطنا لهم عوضا من وطنهم الأصلي أو الحقيقي.

وكما نجد "ابن طفيل" يجسد اغتراب الإنسان في قصته "حي بن يقظان" وذوبان هذه الغربة بالطبيعة فيصور" تخطيه هذه الغربة ليلتحم بالطبيعة، فتكون الطبيعة وما فيها من حيوان ونبات أهلا له، حتى يتطور وتنموا مداركه ويصل إلى الكلام، ومن ثمة يسمو إلى الحقيقة التي أولها معرفة الله [3]، وبذلك يبلغ ما يبلغه أهل التصوف من مراتب المشاهدة والغناء بحب الله.

وقد استخدم متصوفة الإسلام مصطلح الاغتراب بوصفه"ظاهرة ايجابية لأنهم وجدوا فيه الطمأنينة والسكينة وراحة القلب، ولذلك كانوا حريصين على

---

[1] ابن باجة: تدبير المتوحد، تح: ماجد فخري، بيروت، لبنان، د ط ،،1968 ص 88.

[2] ابن باجة: رسائل ابن باجة الإلهية،بيروت، لبنان، د ط ،دت، ص 90.

[3] عادل الألوسي: "العبقرية والاغتراب" ص 63.

التقرب لله فلم يحنوا إلى سواه، ولم يطلبوا حاجة عند غيره "[1]والصوفية مغتربون عن ذواتهم وعن مجتمعاتهم، فغربتهم روحية وهم يغنون ذواتهم للوصول للذات الإلهية، ومن هنا اختلف اغتراب الصوفية عن اغتراب غيرهم، لأنهم على العكس من المغتربين الآخرين لا يعانون من العذاب والألم واليأس والقلق التي هي من أهم النتائج الشعورية لهذه الظاهرة، فهم مستأنسين بوحدتهم وهي سبيلهم للوصول إلى الله فهم يجدون فيه راحة من الهم وسكون أنفسهم وطمأنينتها ويتجنبون بها الحياة ودناستها وزينتها وغرورها.

ومن هؤلاء المتصوفة إبن عربي الذي يغلب عليه الشعور بالغربة الكونية لدرجة تجعلنا نستشف منها نزعة عدمية، قوامها الهرب من هذا الوجود الحسي الأرضي بوصفه غريبا، وغير أصيل، وذلك بالرجوع إلى الله والفناء فيه بوصفه الوجود الحق، أو على حد تعبير الصوفية الوطن الأصلي[2]

فالصوفي يبلغ قمة السعادة في وحدته، ويعبر عن هذا الشعور إبراهيم بن أدهم الزاهد المتصوف في قوله:

هَجَرَت الخَلقَ طَراً فِي هَوَاكَ وَأَيْتَمْتَ العِيَالَ كَي أَرَاكَ

فَلَوْ قَطَعْتَنِـي في الحَدِ إربًا لَمَا حَنَّ الفُؤَادُ إِلَى سِوَاكَا [3]

وتقول رابعة العدوية:

رَاحَتِي يَا إِخْوَتِي في خَلوَتِـي وَحَبِيبِـي دَائِمًا فِي حَضْرتِـي

قَدْ هَجَرْتَ الخَلْقَ جَمْعًا أَرْتَجِي مِنْكَ وَصْلًا فَهُوَ أَقْصَى مَنِيَتِي[4]

---

[1] بن علي قريش: الاغتراب في الشعر العربي الحديث ،ص13.

[2] صالح زامل: تحول المثال، ص 21.

[3] ابن رجب الحنبلي: كشف الكربة في وصف أهل الغربة، مطبعة النهضة الأدبية، ط 1، 1332، ص 27.

[4] عبد الرحمان بدوي: رابعة العدوية شهيدة العشق الإلهي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ،ط2،1962، ص 163.

فهي لا تجد الأنس والراحة إلا في اعتزال الناس والانصراف إلى مناجاة الله، والعزلة إحدى مظاهر الاغتراب الصوفي

وعندما تقارن علاقتها مع الناس بحبها الإلهي الرفيع تقول:

إِنِي جَعَلْتُكَ في الفُؤادِ مُحَدِثِي وَأَبَحَتُ جِسْمِي مَنْ أَرادَ جُلُوسِي

الجِسْمُ مِنِي لْلجَلِيس مُؤانِسِ وحَبِيبُ قَلْبِي فِي الفُؤَادِ أَنِيسِي[1]

فهي حاضرة بالجسم مع من يجالسها من الناس، ومشغولة الفكر شاردة العقل والقلب لأنهما منصرفين إلى ذكر الله.

وقد انتشر الاغتراب الصوفي بكثرة في العصر العباسي حيث فسدت الأخلاق وضعف الإيمان، فانتشرت الرذائل وأحس هؤلاء المتصوفون بضرورة الاغتراب من هذا الزمان وهنا طلبوا العزلة اتقاء أن يصابوا بأمراض ذلك العصر محاولين الحفاظ على جوهر النفس، ووجدوا في النهاية أن هذا الأمر في قربهم من الله سبحانه وتعالى.

أنواع الغربة والاغتراب:

إن الاغتراب ظاهرة عرفها أفراد المجتمع البشري في كل زمان ومكان، وبالتالي فإن أسبابها متعددة ومتنوعة، ومظاهرها وأنواعها متنوعة ومتعددة، وهنا سوف نتطرق إلى **أهم أنواعها:**

1-الغربة المكانية: ويتمثل فيما يراود الإنسان من مشاعر جراء اضطراره للانتقال من مكان يفر عليه مفارقته إلى مكان آخر، وذلك أن التآلف مع المكان يتبلور على شكل شعور ما بالمواطنة وشعورا بالمحلية، وكأنه الكيان الذي لا تحدث الأشياء

[1] عبد الرحمان بدوي: رابعة العدوية شهيدة العشق الإلهي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ،ط2،1962، ص 182.

بدونه ولا يلبث أن ينطبع في ضمير الإنسان واقعا ورمزا تاريخيا سابقا، وحاضرا بشكل أحياء ومقاطعات ومدن أوقرى[1].

وتبعا لذلك فقد شكل المكان – الوطن – على الدوام هاجسا تتبلور بمرور الوقت في شكل قضية متجددة واضحة، ولا سيما حين ترغم ظروف الإنسان على مغادرة المكان الذي نشأ وترعرع فيه أو الوطن ويضطر إلى مفارقة من فيه من أهل وأعزاء ليحل في مكان آخر جديد إذ كل شيء غير مألوف، فيتنامى لديه الشعور بأن المكان غريب عنه أو أنه هو غريب عن المكان ويجد نفسه غير قادر على التالف مع محيطه، ولكي يجابه الإنسان هذا الشعور، فإنه يشعر بالحنين إلى وطنه، وينساق وراء خياله الذي يستحضر صورا من الوطن، أو من ماضيه، حينما كان في الوطن، الأماكن التي عرف فيها أحداثا سارة، صور وجوه الأحبة تهيمن عليه الحسرة واللوعة، لأن ذلك كله بات من الماضي ولم يعد يستطيع الآن أن يعيشها ويتحسسها مباشرة[2].

2-الاغتراب الكوني: ويتمثل فيما يراود الإنسان من شعور بالاغتراب أو الغربة إزاء البيئة المحيطة به، سواء كانت البيئة الطبيعية، أم البيئة الاجتماعية، أم الكون برمته فهو ينشأ في الغالب، من جراء خلل في الموازنة بين الذات والكون، أو الذات والجماعة، أو الذات والطبيعة[3]، ذلك أن الإنسان منذ أن وعى ذاته، ووعى المحيط به، حاول أن يحقق نوعا من التواصل والتآلف بينهما، وطالما كان التآلف قائما كان التوازن قائما والحالة السوية، ولكن عندما يطرأ تحول أو تغير على أحد قطبي

---

[1]ياسين النصير: الرواية والمكان، الموسوعة الصغيرة، 57 منشورات وزارة الثقافة، بغداد، 1980، المقدمة، ص5.

[2]عبد الأمير محسن عودة: الغربة والاغتراب في الشعر الكويتي والبحريني، رسالة ماجستير، جامعة البصرة، 1980، ص 209 ، 246 ، 284.

3عادل كامل: الاغتراب في الفن التشكيلي المعاصر، مجلة الثقافة، السنة العاشرة، ع 4 و 5 نسيان ،1987، القسم الأول، ص 63.

الموازنة يحدث الخلل، فمثلا مع بداية التكنيك الزراع يبدأ انفصال الإنسان عن الطبيعة، وبالتالي بدأ اغترابه ثم ما لبث أن أقيمت على أثر هذا التكتيك مؤسسات عديدة (المدن، الأديان، الحكومات) التي أخذت تتحكم بالإنسان وسلوكه وتطلعاته، وقد أدى هذا التحكم إلى تنامي شعوره باغتراب[1].

3-الاغتراب الروحي: ويتمثل في الشعور الذي يراود بعض الأفراد الذين تهفوا أرواحهم إلى عالم أمثل، ويرتبط ظهوره بوجود الدين في أي مكان وزمان، في المشرق كما في المغرب، فشعراء الزهد والتصوف يتأثرون ببعض المفاهيم الدينية التي تهون كثيرا من شأن الدنيا ومتعها الفانية، ومرور الإنسان بها كأنه غريب أو عابر سبيل فكثيرا ما عبروا من زهدهم في هذه الدنيا وعن متاعها الزائل واجتنابهم للناس واعتزالهم الحياة وكل ما يتصل بها متوجهين – في نفس الوقت – إلى الله والعالم الآخر، ساعين إلى خلاص الروح من هذا العالم الأرضي لتصل إلى عالمها العلوي ولا شك أن الوصول إلى هذا الفهم أو التصور مر بمراحل وصل فيها مفهوم الزهد بصورته البسيطة إلى هذا المعنى الخالص لدى الصوفية من غربة الروح في الجسد بل في هذا العالم[2].

ويمكن القول إن هذا النوع من الاغتراب هو نتاج تراكم تجارب وخبرات ومعاناة يواجهها الإنسان في واقعه، إذ أن تعاقب الإخفاقات الإحباطات يؤدي بالإنسان إلى اعتزال واقعه اعتزالا كليا أو شبه كلي والسعي إلى بلوغ واقع آخر لا وجود له إلا في تصوره وخياله[3].

---

[1]عبد الأمير محسن عودة: الغربة والاغتراب في الشعر الكويتي والبحريني ،ص 84.

2أشرف على الدعدور: الغربة في الشعر الأندلسي، ص 45.

[3]محمد راضي جعفر: الاغتراب في الشعر العراقي، منشورات كتاب إتحاد الأدباء العرب، دمشق، د ط، 1999، ص 43.

فالذات أو الروح، تصير هائمة، يصعب عليها التكيف مع الواقع، فتعتمد أن ترسم عالما مثاليا تحاول أن تعايشه من خلال الخيال، فتغترب بالتالي في الزمان والمكان، وقد أشار الأديب اللبناني مخائيل نعيمة (1889 – 1988) إلى تجربته الذاتية في هذا المآل، إذ قال: " أن الشعور بالغربة ما أنفك نشيطا ويزداد على مر السنين، حتى بت أعيش في عالمين، عالم خلقته من نفسي لنفسي، وعالم خلقته الناس للناس"[1].

4–الاغتراب النفسي: ويطلق عليه المختصون بعلم النفس إسم "الاغتراب عن الذات" ويتمثل في زوال الارتباط بين الذات وما عليه الإنسان أو ما كان عليه، بما في ذلك ارتباط حياته الراهنة بماضيه، وجوهر هذا الاغتراب هو البعد عن مشاعر المرء ومعتقداته وطاقته[2]ذلك أن الإنسان حين يرصد سوء الواقع الذي يعيش فيه، ويفقد فيه المثل التي يتطلع إليها، ويعجز عن تحقيقها، ويعمد إلى الهروب من ذلك الواقع ليصنع لنفسه عالما نرجسيا منغلقا ومنفصلا عن واقعه الفعلي، فيعاني تبعا لذلك من الاغتراب[3].

أما مظاهره فيتفق علماء النفس على أنها تتجلى في شعور طاغ بالألم والحزن واليأس والعجز والعزلة الاجتماعية ويتميز المغترب بالقلق والاكتئاب، مع إحساس باللا واقعية والفراغ والسأم والسخط، وغالبا ما يكون عدوائيا في سلوكه مع الآخرين، وتتفاعل هذه الأبعاد فيما بينها، وقد يزداد شعور الفرد ببعد أو أكثر من هذه الأبعاد[4].

[1]ماهر حسن فهمي: الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، دط 1975،، ص 120.

[2]ريتشارد شاخت: الاغتراب ص 205.

[3]فيصل عباس: الاغتراب–الإنسان المعاصر وشقاء الوعي–، دار المنهل، بيروت، ط1، 2008، ص 302.

[4]فاطمة محمد حميد السويدي: الاغتراب في الشعر الأموي، ص 160.

5-الاغتراب الاجتماعي: ويتمثل في شعور الإنسان الفرد باغتراب في مجتمعه نتيجة تعرضه للفصل أو الخلع أو التجاهل أو التهميش بطريقة ما عن مجمل أفراد مجتمعه وثقافته العامة السائدة، ومن مظاهره أيضا، الانسلاخ عن المجتمع، والعزلة والانعزال، والعجز عن التلاؤم والإخفاق في التكيف مع الأوضاع السائدة في المجتمع، واللامبالاة، وعدم الشعور بانتماء بل أيضا انعدام الشعور بمغزى الحياة[1].

ومنشأ هذا النوع من الاغتراب هو أساسا، أزمة معايير تصيب المجتمع في مراحل نموه وتطوراته المتعاقبة، فالعالم الذي يعيش فيه الإنسان هو من صنعه، كما أن النظم السياسية والحضارية والاجتماعية هي الجوهر الاجتماعي الذي بلوره الإنسان أيضا، وتبعا لذلك، فإن الحالة السوية الاعتيادية تتمثل في سيطرة ذلك الجوهر الاجتماعي على تفاعل الأفراد ضمن نطاق المجتمع، بمعنى أن يصبح كل فرد متوازنا في حاجاته وأفكاره مع ما يتوقعه الغير[2].

بيد أننا إذا أخذنا بعين الاعتبار أن الإنسان دائم التطلع إلى تحسين ظروف معيشته عبر المزيد من إشباع حاجياته المادية والعقلية، فإن ذلك التطلع لا يلبث أن يؤدي إلى إثارة أزمة في المجتمع عبر تناحر معاييره، بين تلك التي تمثل الجوهر الاجتماعي، وبين المعايير الجديدة التي تعتمل داخل الفرد، وهنا يحل الانقسام في المجتمع بدلا من الانسجام، وعندما يفشل الفرد بصورة متكررة في تحقيق معاييره الذاتية، فإنه يشعر بفقدان الأمل وبالألم وبمرارة الحرمان ومثل هذا الشعور يجعل الفرد معزولا عن مجتمعه وبالتالي مغتربا عنه[3].

[1] فاطمة عيسى جاسم: غائب طعمة فرمان روائيا، دارسة فنية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، دط، 2004 ،ص 113.

[2] قيس النوري: الاغتراب(اصطلاحا ومفهوما وواقعا)، ص 20.

[3] فاطمة عيسى جاسم: غائب طعمة فرمان روائيا، ص 22 – 24.

ومع استمرار هيئة نظم المجتمع الخارجية وممارستها لسطوتها بفعالية إزاء الذات المفردة التي تتكفئ على عالمها الداخلي وتنغلق عليه وتستسلم تماما لمعاييره، فإن ذلك من شأنه أن يزيد من تعميق الهوة بينها ومن ثم ينعدم أي شكل من أشكال المشاركة بين الإنسان المغترب ومجتمعه، فضلا عن عدم اعترافها ببعضها بل يقصر كل طرف اعترافه على مطلق ذاته

فقط، وبذلك يصل الاغتراب لدى الفرد إلى أقصى درجاته[1].

6-الاغتراب السياسي: ويتمثل في شعور الفرد باغتراب إزاء الوضع السياسي السائد في بلده والممارسات الاجتماعية التي تجري في مجتمعه، ذلك أن مجموعة الممارسات الاجتماعية في مجتمع ما هي ممارسات إيديولوجية في الأساس، فسلوك الشرائح الاجتماعية مدفوع بمفاهيم وأفكار وقناعات متجسمة في الجسم الاجتماعي ككل، فيها تتأكد مشروعية الأطروحات والمطالبات، وهي في الحقيقة مدار كل النقاش السياسي وكل صراع اجتماعي[2].

وعلى الرغم من أن ظاهرة الاغتراب السياسي تشوبها حالة من التداخل الشديد، وهنا تدفع الباحث إلى حالة من التشوش، لتشتت الصور التي يتخذها الاغتراب إذ يمكن أن نميز في حالات الاغتراب السياسي، عموما بين صنفين رئيسيين وهما: الاغتراب الفردي والاغتراب الجماعي، وهنا فالصنف الأول هو الأكثر شيوعا والأقرب صلة بموضوع البحث، والنمط السائد المغترب السياسي، إنه الفرد الذي رفض الواقع السياسي لمجتمعه دون أن يكون من الفئات التي رفضها المجتمع[3].

---

[1]خالد المصري: غائب طعمة فرمان، حركة المجتمع وتحولات النص، دار المدى، دمشق دط، 1997 ص 117.

[2]مشيل فوكو: نظام الخطاب، ت: محمد سبيلا، دار التنوير، د ط 198، ص 81 – 82.

[3]فاطمة محمد حميد السويدي: الاغتراب في الشعر الأموي، ص 45.

7- الاغتراب الزماني: الذي يعد من الأمور الغامضة، لأن الارتباط بين الإنسان والزمن أكثر غموضا من الارتباط بينه وبين المكان، فالمكان ثابت نسبيا، أما الزمان فمتغير وبالتالي فتأثيره النفسي على الإنسان أكثر غموضا أيضا، فالإنسان قد يشاهد شيئا معينا أو يحس بإحدى الحواس الخمس أو بأكثر من حاسة واحدة، بينما يحتاج الإحساس بالزمن إلى الحاسة الفكرية أو الذهنية[1].

والواقع أن الشواهد التاريخية تدل على أن بعض المفكرين منذ أقدم العصور، تباينت مواقفهم من وقائع وأحداث الأيام التي يعيشونها، وقد تراوحت مواقفهم بين قبولها والرضا عنها، وبين رفضها واستنكارها، ويعد الشاعر اليوناني "هيزيود" Hesiodالذي أورد في سياق ملحمته الشعرية المعنونة"بالأعمال والأيام" تفسيرا تشاؤميا لمسار تاريخ البشر مقسما إياه إلى خمسة عصور وهي:

أ- العصر الذهبي: الذي يعد في نظره عصر السلام والكمال والسعادة

ب- العصر الفضي: الذي تمتد أعمار البشر فيه إلى مئة عام

ت- العصر النحاسي: الذي شهد تنازع البشر فيما بينهم

ث- العصر البرونزي: الذي أوجد الإله "زيوس" خلاله الأبطال الذين حاربوا في "طروادة"

ج- العصر الحديدي: وهو عصر الحزن والبغضاء، وجيله شر الإنسان، وهم فاسدون يعصون الألهة، ولا يحترم صغيرهم كبيرهم، فالناس منذ ذلك العصر ماضون في انحطاط مستمر[2].

---

[1]يحي العبد الله: الاغتراب دراسة تحليلية شخصيات الطاهر بن جلون الروائية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2005، ص 22.

[2]نبيل عبد الحميد: مدخل لدراسة الفلسفة اليونانية، منشورات كلية بابل للفلسفة واللاهوت، أربيل، د ط، 2008، ص 47.

وكما هو واضح فإنَّ الشاعر "هيزيود" كان يهيمن عليه الشعور بالاغتراب الزماني وهو في مواجهة تبرمه بوقائع وأحداث عصره، حيث كان مفتونا بفكرة استرجاع مواصفات العصر الذهبي الذي مضى.

أسباب الغربة والاغتراب:

لقد تعددت وتنوعت أسباب الغربة والاغتراب التي دفعت بمختلف الشعراء والأدباء إلى تذوق هذه المعاناة القاسية، ويمكن حصر بعض الأسباب التي أدت للشعور بمصطلح الغربة أو الاغتراب ومنها:

1- السعي وراء الرزق، كأن تضيق الحياة بإنسان أو قبيلة فيرتحلون عن أماكن نشأتهم ومواطنهم الأصلية بحثا عن الرزق، وسعيا وراء الماء والكلأ كما كان يحدث في البيئة العربية الصحراوية، فالبدو يقيمون ما دامت الإقامة توفر لهم الماء، وإذا انعدم الماء والكلأ فهم يبحثون عن موطن آخر تتوفر فيه أسباب الحياة، " ولو رجعنا إلى حياة الإنسان الجاهلي لوجدنا أنها رحلة لا تهدأ وراء الكلأ وانتقال من ماء إلى ماء، وتتبع مساقط الغيث حيث كان، فالهجرة والتنقل تأتي وفقا لضرورة عصية على إرادة الإنسان الجاهلي وهو لا يملك له دفعا "[1]

2- إنَّ الاغتراب والغربة التي يعيشها المرء قد يكون مجبورا عليها كالآسر أو بسبب الحروب أو الفنن واغتراب المنفى والنفي والتشريد.

فالآسر والحروب هو من أسباب الغربة والاغتراب، فالمحارب الذي يقع بين أيدي الأعداء فيسومونه أشد أنواع العذاب ويلقون به في السجون بعيدا عن أهله وذويه ومحبيه، فيشعر أنه قد أصبح إنسانا آخر تتنازعه خواطر شتى ويعيش في دوامة من الهواجس والأفكار وكما أنه يحس إحساسا عميقا بوحدته وغربته وكأنه يقف وحيدا يصارع القدر ويصارعه.

[1] سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن 4 للهجرة، ص 69.

3- تعد الهجرة من أسباب الغربة ودواعيها فالهجرة سواء كانت فردية أم جماعية وهنا يحس بعض الأفراد أو الجماعات أن حياتهم في أوطانهم أصبحت جحيما لا يطاق ويرون أن الهجرة عن هذا الوطن قد تخلصهم من عناء ما هم عليه مثلما حدث مع المسلمين الأوائل الذين هاجروا إلى الحبشة أولا ثم إلى المدينة، وقوله تعالى عن الهجرة في سورة النساء " وَمَنْ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ"، (سورة النساء، الآية 100).

4- التشريد والنفي والمقصود به هو المطاردة والإبعاد فإن الإنسان المطارد لا بد وأن يغترب بعيدا عن أهله وأوطانه ومن أبرز هؤلاء "عبد الرحمان الداخل" حيث سقطت دولة بني أمية وقامت على أنقاضها دولة بني العباس فالتاريخ يحدثنا عن هروبه من الشام إلى مصر ثم إلى شمال إفريقيا ومنها إلى الأندلس وقد عانى الكثير من هروبه وتخفيه.

وفي العصر الحديث فقد نفى الكثيرون وشردوا عن أوطانهم وأهاليهم على أيدي الاستعمار مثل محمود سامي البارودي الذي قاد ثورة أحمد عرابي فنفاه الانجليز إلى جزيرة سرنديب وقد عبر في شعره عن شوقه وحنينه إلى وطنه، ويذكر الله تعالى في سورة المائدة "أَوْ يَنْفُوا مِنَ الأَرْضِ"، (سورة المائدة ،الآية 33).ويقول الشافعي " أنهم يخرجون من بلد إلى بلد ويطلبون لتقام عليهم الحدود" وهنا يشعر الفرد بالنبذ والرفض[1].

5- أن الاغتراب والغربة التي يعيشها المرء قد تكون من اختياره وليس مجبورا عليها كحب الانتقال إلى بلد آخر أو بحثا عن المال والشهرة، وهذا كهجرة الأدمغة العربية وهجرة العمال والشعراء إلى أمريكا وأوربا وأستراليا وهجرة أبناء الريف إلى المدينة فكل هذه الأسباب تولد الشعور بالغربة والاغتراب.

---

[1]قيس النوري: الاغتراب(اصطلاحا ومفهوما وواقعا)، ص 33.

الفصل الثاني :

الغربة والاغتراب في روايات غائب طعمة

1- الأديب والإنسان .

2- الغربة والاغتراب في روايات غائب .

3- نماذج تطبيقية .

أولا: الأديب والإنسان "غائب طعمة فرمان"

ينحدر الأديب الروائي غائب طعمة فرمان من عائلة كادحة وبسيطة[1]، على حد تعبيره، إذ كان والده يعمل سائق سيارة أجرة، ولأنه كان غائبا عن عائلته فإنه سمى أول أولاده غائب[2]، الذي ولد في بغداد عام 1926[3]، وعاش سنوات حياته في بغداد وفي حي المربعة بالتحديد[4].

تلقى تعليمه الابتدائي في إحدى المدارس الواقعة في حي الشعبي الذي ترعرع فيه، ويذكر أن اهتمامه بالأدب قد بدأ في وقت مبكر، في أواخر دراسته الابتدائية، ويعزوه إلى سبب عاطفي، إذ على الرغم من كون مستواه في مادة اللغة العربية كان متدنيا حينذاك، فقد استنجدت به ابنة الجيران "وهي بنت مسيحية سيئة في اللغة أيضا، وطلبت منه تدريسها قواعد اللغة العربية وهذا ما دفعه إلى مضاعفة جهده من أجل فهم تلك القواعد حتى يتسنى له الظهور بمظهر المعلم الملم بعلوم اللغة العربية، والقادر على تعليمها وتلقينها، وهذا الاهتمام قاده إلى قراءة الأدب المدون باللغة العربية، والتي انصبت على روايات الجيب العالمية التي كان مغرما بها، وتشمل " روكان بول" و " سيف بن ذي يزن" و"ألف ليلة وليلة".

وبعد إنهاء دراسته الابتدائية التحق غائب بمدرسة " الرصافة" المتوسطة وخلال هذه المرحلة زامل كل من " فؤاد التكرلي" و " عبد الوهاب البياتي" الذي كان غائب يزوره بين الفينة والأخرى وظل على صلة به حتى أثناء دراسته الثانوية، وفي هذه المرحلة تسنى له التعرف على " ذو النون أيوب" الذي تولى تدريسه مادة الجبر، فضلا علىأنه كان كاتبا معروفا.

---

[1]- ماجد السامرائي، في عالم غائب طعمة فرمان – افق اخر للواقع، مجلة الاقلام، العدد (4-5-6) (نيسان-مايس- حزيران) 1995بغداد، ص 49 .

[2]- هيئة تحرير مجلة الثقافة الجديدة: البدايات، التكون، الغربة، لقاء مع الروائي غائب طعمة فرمان، العدد 189، 1987 ص 101.

[3] – محمد دكروب، مقالة عن غائب بقلمين اثنين، مجلة البديل، العدد 17، دمشق 1991 ص 46.

[4]- ماجد السامرائي، الطموح والتعطش إلى الإمتلاك إحساس دائم ومتأصل في كل فنان مجلة (الف ياء) ،العدد 285 ،شباط 1974، ص 44

وبهذا ساهمت هذه المؤثرات وسواها في تشكيل ثقافة غائب طعمة فرمان خاصة في مرحلة دراسته الثانوية ولعل أبرزها هي:

1)الإطلاع على مصادر الأدب العربي القديم بشقيه: النثري والشعري، وكان استمداده المعرفة ليس فقط من أمهات الكتب التراثية المنشورة، وإنما من بعض المجلات العربية المصرية التي كانت تعنى بالتراث، ويقول غائب بخصوص ذلك" هناك مجلة(---) كانت تنقل لنا الأدب الكلاسيكي التراثي العربي ...مجلة الكتاب....إضافة إلى غذائنا الأسبوعي (الرسالة)و(الثقافة)"[1] وهذا ما يدل على نضج كتاباته الإبداعية، وهذا لاستفادته من مناهل التراث اللغوي والأدبي.

2) قراءة ترجمات مبسطة لبعض كتابات المؤلفين الأجانب ولاسيما " مكسيم غوركي" و " وتولستوي " أما الأول فكان له تأثير عميق على غائب وهنا يقول عنه " لأول مرة يطرق غوركي أشياء قريبة من واقعنا بأناسه البسطاء المتسكعين، بعكس الأدب الروائي الفرنسي والإنجليزي السائد"[2].

ونراه يعزو هذا التأثير لأسباب ثلاث وهي:

1- إن الكتب التي يطالعها الإنسان في بداية حياته المبكرة تبقى عالقة في الذاكرة، وتصمد الانطباعات المتكونة عنها أمام النسيان.

2- إن مكسيم غوركي طرح عالما جديدا بالنسبة للحياة القديمة التي كنا نألفها حيث قدم لنا أمثلة نموذجية لحياة من نوع آخر

3- عظمة غوركي الأسلوبية، أقصد عظمة لغته، وأسلوبه المليء بالتشابيه وتعابيره التي كانت جديدة بالنسبة لنا.

اهتم غائب في تجربته الشعرية الأولى بكتابة القصائد، خاصة قصيدة " صمت" و " طفلة" في مجلة الثقافة المصرية، ولكنه فشل في هذه التجربة، وحاول أن يلتمس شكلا أدبيا آخر يصب فيه معاناته وخلجات تفكيره، وهي "المقالة" وحيث كتب أول مقالة تتحدث عن خواطر العيد، ثم اتجه إلى نمط آخر وهو "القصة"، وكانت أول قصة كتبها ونشرها، قبل إكمال دراسته الثانوية، في مجلة" الزهراء" وكانت تصدر من مدينة القدس ويقول عنها ":

---

[1]- هيئة تحرير مجلة الثقافة، البدايات، التكون ،الغربة، لقاء مع الروائي غائب طعمة فرمان ،ص .104.

[2]- المرجع نفسه، ص102.

قصة ساذجة حول حفار القبور .... ينتظر الأموات بينما ينهدم بيته إثر المطر وتموت عائلته"[1].

وفي عام 1947 أكمل غائب دراسته الثانوية في بغداد، إلا أنه أصيب بمرض السل الرئوي لينصح بالسفر إلى مصر للاستشفاء مما أتاح له مواصلة دراسته الجامعية والالتحاق بكلية الأدب في جامعة القاهرة، وهنا عمل غائب في مصر في مجلة العالم العربي وذلك " براتب شهري قدره ستة جنيهات، وكان مبلغا جيدا بالنسبة لي كطالب في السنة الأولى بكلية الآداب"[2].

والواقع أنَّ التأثيرات التي تلقاها "غائب" خلال إقامته في القاهرة كانت أعمق وأوسع مدى فقد انفتح على منابر الثقافة والأدب، وتعرف على العديد من أقطاب الفكر والثقافة والأدب ولكن مع مرور الأيام تزايدت معاناة "غائب" من الحرمان والجوع، خاصة بعد معاناته من الالتهاب الرئوي، لذا وجد غائب أن بقائه في القاهرة صارفي حكم المستحيل، فلا مورد ولا علاج، وتبعا لذلك فإن الحل الوحيد والنجاة من المأزق هو العودة إلى العراق، رغم أنه درس إلا ثلاث سنوات فقط في القاهرة، وأكمل سنته الرابعة في جامعة بغداد في كلية الآداب وتخرج بتقدير جيد جدا.

ولكن اضطر بعد ذلك إلى مغادرة العراق بحثا عن عمل فاتجه إلى سوريا ثم إلى لبنان وهناك شارك في مؤتمر" الكتاب العرب" الذي عقد في دمشق كممثل للأدباء العراق وقد أشير في مجلة"الثقافة الوطنية"إلى اسم "غائب طعمة فرمان" و"محمد غني حكمت" كمشاركين ممثلين للعراق.

وبعد انتهاء المؤتمر مكث غائب مدة قصيرة في سوريا وسافر بعدها إلى رومانيا ومكث في عاصمتها"بخارست" مدة 26 يوما، بعد ذلك كانت وجهته نحو مصر للمرة الثانية حيث قام بجملة من النشاطات، ولعل أبرزها كانت إشراكه مع " محمود أمين العالم" في إصدار كتاب بعنوان " قصص واقعية من العالم العربي" عام 1956، وقد ضم الكتاب مجموعة قصص قصيرة للكتاب عرب من مختلف الأقطار العربية، وهذا محاولة لتوحيد الأدب العربي الحديث، والتعريف بأدباء عرب من أجزاء مختلفة من الوطن العربي.

---

[1]- هيئة تحرير مجلة الثقافة، البدايات، التكون ،الغربة، لقاء مع الروائي غائب طعمة فرمان ،ص 100.

[2]- المرجع نفسه، ص107.

وبعد الظروف السياسية التي شهدتها بغداد ومصر، اضطر غائب طعمة إلى السفر والوجهة كانت هذه المرة نحو الصين، واستطاع إيجاد عمل في وكالة الأنباء الصينية الجديدة[1].

وكان غائب من أوائل العاملين في مجلة " الصين المصورة" في عددها الأول، وفي هذه الأثناء أصابه عارض صحي استدعى نقله إلى مستشفى الأمراض الصدرية، حيث استأصلت إحدى رئتيه، وأمضى فترة نقاهة امتدت إلى عام كامل[2].

وكما توافق مكوثه في الصين اندلاع ثورة 14 تموز 1958 في العراق، وهنا بادر للعودة للعراق وحيث اتفق مع وكالة الأنباء الصينية بمواصلة العمل حتى وهو في العراق، وقد كتب العديد من المقالات السياسية والقصص القصيرة، عن العراق في ضل التغيرات السياسية التي تشهدها ولكن بمرور الأيام بات يشعر أن المناخ السياسي الذي يتحرك خلاله لم يعد مريحا، وهنا فكر بالابتعاد عنه، واختار هذه المرة موسكو عام 1960 عله يجد المقام المريح والعمل المناسب وعمل مترجم لبعض الاعمال الأدبية لأدباء روس من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية، في دار نشر معروفة وهي " دار التقدم"، وعكف في الوقت ذاته على تعلم اللغة الروسية وإتقانها .

ويمكن القول أن كل ما عرفناه عن سيرة غائب والمشاكل والمعاناة الإحباطات التي شهدها خلال حياته، فإن غائب قد عانى طويلا من السقام الجسدي والسقام الروحي، فأما السقام الجسدي هو مرضه بالسل، واستئصال إحدى رئتيه في الصين، الامر الذي جعله يعيش بقية حياته برئة واحدة، في ظروف مناخية قاسية مثل ظروف موسكو، وأما السقام الروحي فقد تمثل في استمرار غربته وتحرقه شوقا للعودة إلى أرض الوطن بعدما تغدوا أحوال الوطن وفق ما يتمنى، لكي يعيش ويستقر فيها.

ولعل الوضع الذي به ساءت صحة غائب طعمة فرمان، هو اتخاذ العراق قرار باجتياح دولة الكويت الجارة، إذ أنه لم يمر على ذلك الحادث سوى أسبوعين حتى ساءت حالة غائب

---

[1]- زهير شلبية: غائب طعمة فرمان، دراسة مقارنة في الرواية العراقية، ص 66.

[2]- كاظم السماوي: وفي ليالي المنفى يرحلون، مجلة الحرية، العدد378 سبتمبر/ ايلول، 1990، بيروت، ص45.

الصحية، وتم نقله إلى المستشفى و في يوم 1990/08/18 ودعت روحه الحياة[1]، وكان أقرب أأصدقائه جلال الماشطة أول من أبلغ بوفاته.

وقد ورى نعش غائب في تلك المقبرة في موسكو وهنا عاش غائب في الغربة ودفن فيها، وقد كتب على لافتة معلومة ومصنوعة من الغرانيت الأسود، "غائب طعمة فرمان" ولافتة آخرى مكتوب عنها " النخلة والجيران" وهكذا قدر لغائب أن يعيش نصف حياته في الغربة وأن يموت ويدفن في الغربة.

ثانيا: الغربة والاغتراب في روايات غائب طعمة فرمان:

إن أهمية غائب طعمة في الأدب العراقي تكمن أساسا في رواياته[2]، ففي عام 1966 أصدر غائب روايته الأولى " النخلة والجيران" ومن خلالها قدم رواية تأسيسية متميزة في الأدب الروائي المعاصر في العراق، وغائب منذ إصداره لهذه الرواية، كرس الجزء الأكبر من نشاطه الإبداعي لكتابة روايات آخرى وصل عددها إلى ثماني روايات، محاولا من خلالها بناء عمارته الروائية، وترسيخ وجوده على أنه أبرز روائي عراقي، له مكانته المتميزة بين الروائيين العرب المعروفين، ومرده إلى هذا النوع الأدبي كون الرواية أوسع إطار وأكثر قدرة على التعبير عن الواقع وما يتخلله من تفاصيل وما يتمخض عنه من أحداث، فالرواية وفق منظور غائب طعمة فرمان تتميز بأنها" تضيف إلى صفة العمق صفة الطول ... وهي تعمل بحرية أكثر وعلى رقعة أوسع، ليس من حيث السطح فقط، بل العمق أيضا.......لان الروائي يملك مجالا لتتبع لحظات إنسانية عديدة مثلما يملك مجال التوغل فيها عميقا....[3].

حاول غائب من خلال رواياته أن يؤرخ لبغداد والعراق وأحوال العراق، وكل رواية تحكي أحداث فترة معينة، وتؤرخ لوقائع مرحلة تاريخية معينة، والتاريخ الذي تناوله مثبت في مكان محدد هو: المحلة الشعبية البغدادية وعداها من مكان آخر، عدا أرض الغربة الذي تحدث عنها في رواية " المرتجى والمؤجل" ويقول "غائب "في هذا الصدد: " أنا ابن البيئة الشعبية، طوال حياتي في العراق ولم أخرج منها، ولا أكاد أعرف إلا بيوتها وأزقتها وأهلها، ولهذا

[1]– ليلى عثمان: الكاتب الذي احتمل الغربة وعانى، غائب طعمة فرمان، جريدة القبس الكويتية، العدد7956، الصادر بـ1995/08/17، ص24.

[2]–حميد الخاقاني: تطور لغة القصة ورؤيتها للواقع، مجلة الثقافة الجديدة، العدد189، ص148.

[3]– ماجد السمرائي: الطموح والتعطش إلى الامتلاك إحساس دائم ومتأصل في كل فنان، مجلة(ألف باء)، العدد285، شباط، 1974، ص45.

تخلو رواياتي من وصف البيوت ذات الطراز الحديث فإنا لم أعش فيها واجد عسرا في وصفها"، وروايته الأولى تعكس أجواء مدة الحرب العالمية الثانية فيما تجري أحداث رواية " خمسة أصوات" في مدة الخمسينيات التي سبقت ثورة 14 تموز 1958 وتتناول في روايته " المخاض" الظروف

التي شهدتها العراق أو بالأحرى بغداد، خلال مرحلة ما قبل الثورة وما بعدها، أما روايتا " القربان "و " ضلال على النافذة" فإنهما تتناولان مرحلة ما بعد عام 1963. فيما تغطي رواية " المركب" مرحلة الثورة النفطية في السبعينات.

وهنا فروايات غائب هي بمثابة تسجيل لتفاصيل الحياة الشعبية العراقية البغدادية، وهو نفسه يقر بذلك في مقابلة له مع مجلة " المنار[1]، وردا على سؤال عما إذا كانت هناك وشيجة خفية تربط بين أعماله الروائية، صعودا نحو تغطية كاملة للمجتمع العراقي، أجاب غائب قائلا: "أطمح لأن أرسم صورة المجتمع العراقي الذي يتكامل عبر رواياتي كلها، لأن هناك عملية تطور مستمرة في المجتمع العراقي ......وفي العملية المستمرة.......هناك نقاط محطات.........وقد تكون رواياتي محطات وقوف لهذه العملية المستمرة".

إذن هم الروائي واهتماماته إنما كان متركزا على الإنسان وحياته، ومعاناته، في إطار بيئة اجتماعية معينة، وهي البيئة العراقية التي تأثر بروحها، فكرس لها رواياته كلها، محاولا أن يصور فيها الطريقة التي عانى فيها الحياة، والطريقة التي أعاد بها النظر في هذه الحياة وهو يعبر عنها، أو يجسد شخصياتها ووقائعها وهو يراها في خضم غربته المكانية واغترابه الزماني وكرد فعل لهذا الشعور بالاغتراب، ومن أجل أن تستعيد ذاته توازنها، فهو يعمد إلى التنفيس كما يعتمل في ذاته من خلال ما اختزنته ذاكرته من تفاصيل ووقائع صغيرة وخصوصيات أو أسرار هي أسرار من عرفهم في حياته وعايشهم وشاركهم معاناتهم وحملهم معه إلى أرض الغربة ولعل ما يؤكد ذلك قوله: " في أعمالي كثير من مادة حياتي. وكثير من الشخصيات جزء مني"[2]، وقوله كذلك في مناسبة آخرى " كل شخصياتي تعيش في

[1]- زهير الجزائري: ذاكرة المكان عند غائب طعمة فرمان، مجلة البديل، العدد17، عدد مزدوج، دمشق، 1991، ص54.

[2]- هيأة تحرير المنار: حوار مع الأديب غائب طعمة فرمان، مجلة المنار، العدد05، أب 1989، السويد، ص08.

أحياء تشبه الحي الذي عشت فيه وفي بيوت لا تختلف كثيرا عن البيت الذي قضيت كل عمري فيه"[1].

إن القراءة الممعنة لروايات غائب طعمة فرمان الثمانية تضفي بنا إلى الاستنتاج التالي: لن يتيسر لنا فهم جوهر تلك الروايات، أو الخط العام المشترك لها إلا من خلال الاستعانة بأربعة مفاتيح وهي:

أولا: تعلق غائب الشديد بالمكان والزمان، فالمكان هو الوطن الذي جعله مسرح كل رواياته ويتمثل في مدينة بغداد وخاصة في أزقتها القديمة التي نشأ وترعرع فيها، ونحتت في ذاكرته شواهدها وأحداثها وشخوصها المتميزة، والرواية الوحيدة التي ليس مسرحها العراق هي " رواية المرتجى والمؤجل" أبطالها عراقيون يتعايشون على ما خلفه الوطن في ضمائرهم من ذكريات وانطباعات–فظل الوطن حاضرا في ضمائرهم– وأنهم نقلوا الوطن معهم إلى ديار الغربة وصاروا يتعاملون معه ومع رموزه كهم يومي وحنين دائم.وتبعا لذلك يمكن القول أن "غائب طعمة فرمان" كان يحس بشكل مرهف بالمكان وبل بالزمان أيضا وهنا يقول " إن أبرز ما حملته في ذهني هو إحساسي بالزمان والمكان، فدون الإحساس بالزمان والمكان تبدو الشخصيات عائمة، اعتقد أن الزمن لا يكف عن التطور بالرغم من أننا قد لا نلحظ ذلك، وإذا كنا كتابا حقيقتين فيجب أن نحس بهذا السيل اللامرئي من التطور"[2].

وكان غائب في سائر رواياته يبقي الزمن الذي تناوله مثبت في مكان محدد وهو بغداد وبالتحديد المحلة الشعبية البغدادية.

ثانيا: معاناة غائب الطويلة من الاغتراب ذلك أن مأساته والعنصر البطولي في سيرته يكمنان في غربته، فهو قد أمضى ثلثي حياته وكل مراحل نضوجه في أرض الغربة، وطوال الأربعين عاما التي أمضاها في أرض الغربة لم ينسلخ عن بيته ويتحول إلى كاتب كوزموبولتي* ولم تعد وقائع الحياة في أرض الغربة محور رواياته، وإنما تظهر لنا روايته الوحيدة التي جرت في أرض الغربة وما يعانيه رجل اضطر لمفارقة وطنه من اغتراب وكيف

---

[1]– جورج الراسي: لسان حال الأديب العربي، اللهم لاتدخلني في تجربة، مجلة البلاغ، العدد99، 26 تشرين الثاني، نوفمبر 1973، ص49.

[2]– إبراهيم الحريري: لقاء مع القاص والروائي، غائب طعمة فرمان، مجلة الطريق، العدد الخامس، بيروت، 1972، ص118.

أنه يحاول أن يجد معنى لحياته، من خلال تعليم ابنه الذي فقد الذاكرة، شكل الوطن وفكرته[1].

ثالثا: إن غائب طوال مدة غربته عن الوطن، أعياه الانتظار لشيء يتوق إليه، ويتطلع إليه بلهفة لحدوثه، ويقول غائب عن لسان "يحي سليم" بطل روايته "المرتجى والمؤجل" " الحياة في الغربة ليست إلا انتظار الشيء دون أن نعرفه على وجه التحديد الحياة هنا هي أرض الغربة تستطيل أياما وليالي مؤرقة مملوءة بالكوابيس".

وقد تشكلت لدى "غائب طعمة فرمان" قناعة منذ بداية وعيه، ومالبثت أن ترسخت وتعمقت بمرور الأعوام بأن الحياة في وطنه لا تقوم على أسس صحيحة، وينبغي بأن تتغير لكي تقوم على أسس صحيحة فالشيء الذي يتطلع إليه هو التغير في أوضاع الوطن، لاسيما السياسة التي تشكل مفتاح بناء المستقبل المنشود، وتبعا لذلك فإن غائب الذي ضل " يحلم بعراق ديمقراطي وعلاقات إنسانية منفتحة بات مقتنعا بأن مسار التاريخ الذي يصنعه الناس البسطاء إنما يمر بالقرب منهم، غافلا عنهم وعن أحلامهم، فهم وقوده وضحاياه، وهو درجات سلم يرتقي عليها الآخرون إلى قيادة مراحله"[2].

رابعا: اتخذ غائب من فعل الكتابة، وكتابة الرواية على وجه الخصوص- وسيلة للتعبير كما يعتمل في دخيلته وهو يشهد ما يتعرض له وطنه من وقائع وأحداث يحلم في تغييرها ويقول غائب في لقاء أجرته معه مجلة "الثقافة الجديدة" «ومن حسن حظي أنني قضيت فترة تكويني في العراق، وكنت شاهدا لأحداث كثيرة و هامة في حياة وطني ولم أعان قط ذلك الانقطاع الذي يعني اللامبالاة والانزواء في ركن هادئ فإن كل ما يحدث في وطني يعنيني ويقلقني ويشغل بالي. وما مواصلتي الكتابة إلا مد جسور حية إلى جميع الذين تهمني مصائرهم حاضرهم ومستقبلهم، وما إصراري على أن أكتب من بعيد إلا دليلا على التواصل المستمر والتتبع والشعور بالمسؤولية، أنا لا اجعل من ابتعادي عن الوطن مأساة على

[1]- زهير الجزائري: ذاكرة المكان عند غائب طعمة فرمان، ص54.

[2]- أحمد النعمان: غائب طعمة فرمان، أدب المنفى والحنين إلى الوطن، دار المدى، دط، 1996، ص117.

الأخص، أن تكون مأساتي خاصة، المأساة هي أن أسكت، أن ألكف عن الكتابة عن التواصل، أن اسقط العدم"[1].

وهنا قام" فرمان" بتتبع مجريات وطنه عن كثب وينسج إزاءها أحلامه، فهو لا يسعى إلى تحقيق أحلامه على غرار محترفي السياسة في الحياة الواقعية الذين يتعاملون بالخطابات الرنانة والشعارات البراقة، "فغائب" يعمد في رواياته إلى انتحال دور بائع متجول لأحلامه فهو أشبه ما يكون بحامل صندوق الدنيا، يحاول من خلاله أن يرى المتلقين القراء الأحلام واقعا والواقع حلما، فهو يسلط الضوء على الواقع ويحرض قراءه على تغيير ذلك الواقع بهدوء ودون خطابية وكلمات ملتهبة.

والواقع أن نشاطه الكتابي لم يكن القصد منه عرض أحلامه عن ما ينبغي أن يكون عليه حال الوطن وإنما القصد منه أيضا، أن يكون بمثابة رد فعل أو نشاط يواجه به حال الاغتراب الذي فرضت عليه ويقول غائب في هذا الصدد " ماذا يريد هؤلاء الذين يجعلونك غريبا؟ إنهم يريدون أن يجعلوك صفرا، مجمدا مهملا، بلا صوت، لكن إن استطعت أنت بشكل من أشكال النشاط أن تتحداهم وترفع صوتك، فمعناه أنك أفشلت لعبتهم"[2]. فكتابة الرواية كانت عند غائب بمثابة رد فعل إزاء ما بدا له أنه محاولة لتهميشه، أو لجمه أو إرغامه على الانسلاخ عن الوطن والذوبان في أجواء الغربة، فكانت الروايات التي كتبها غائب بمثابة وسائل دفاعية حاول من خلالها أن يثبت أنه سيضل- رغم غربته عن الوطن واغترابه- متواصلا مع بغداد وأأجوائها ويقول غائب" أنا في الغربة يعجبني أن أكتب عن بغداد و أجواء بغداد، وربما يكون ذلك سلاحا ضد الذوبان والضياع نوعا من الدفاع عن النفس والمغامرة والاتصال الروحي بالوطن"[3].

فالكتابة عنده هي أداة للحصول على الحصانة من الذوبان وانقطاع الصلة عن الوطن، ووسيلة للتواصل مع الوطن وقضاياه ومعضلاته وإن إصرار "غائب"على الكتابة عن الوطن والعمل على نبش الذاكرة، وتجسيد الأماكن، واستحضار بعض الشخوص والأجواء

---

[1]- هيئة تحرير: مجلة الثقافة الجديدة، البدايات، التكون، الغربة، لقاء مع الروائي غائب طعمة فرمان، ص115.

[2]- المرجع نفسه، ص110.

[3]- جورج الراسي: لسان حال الأديب العربي، اللهم لاتدخلني في تجربة، ص48.

والمناخات، كان الغرض منه ملء خواء عالم الغربة بكثافة الوطن، والسعي إلى تحقيق التواصل مع واقع الوطن بكل ظلاماته والانخراط في سيرورته فعلا ومواجهة وتغيرا.

وإن السعي للحصول على الحصانة من الذوبان، والإصرار على التواصل مع الوطن وقضاياه وما لبث أن استحال عند غائب إلى معركة إيمان، حتى ولو بطابع خيالي. يقول غائب في إحدى رسالاته إلى "عبد الرحمن منيف" "مع كبر السن وتقدمه اعتبر الرواية خلق عوالم، والإيمان بوجودها قبل إيمان الآخرين بها، وهذه نقطة مشجعة، ومنها تنطلق أروع الشجاعات، ولهذا فأقل ما يمكن أن توصف بها الرواية أنها شجاعة مكتوبة، ومعركة إيمان، وبقدر ما كتب الكاتب من الروايات خاض بعددها من المعارك.......ربما في ذلك نوع من الدون كشوتية، ولكن أفضل من أنواع الدون كشوتية[1].

ثالثا: نماذج تطبيقية

رواية النخلة والجيران: إن هذه الرواية كانت أولى الروايات التي كتبها غائب بعد أن مارس مدة من الزمن كتابة القصة القصيرة، ومن ثم رغب في توسيع مجالات وأفاق معالجته الدرامية، والتمتع بقدر أكبر من الحرية في الوصف والتعمق في التحليل، فمال إلى كتابة الرواية، وقد روى في إحدى المقابلات أن قصة كتابها وكيف تخمرت في ذهنه ونمت ونضجت ويقول هنا " ،ن رواية النخلة والجيران انطلقت من قصة قصيرة كتبها عام 1957 عندما كنت في مصر ونشرتها عام 1959 في "مجلة المثقف" بعنوان "سليمة الخبازة"، وفي عام 1962 بدأتأعمل فيها جديا وأنجزت الرواية عام1964 [2].

إن غائب عندما انتهى به المطاف في أرض الغربة (موسكو) بدأت تنازعه مشاعر الاغتراب بقوة وعمق، ولم يجد مفرا للتواصل مع أرض الوطن، سوى إطلاق العنان لما اختزنته ذاكرته من الوقائع والأحداث التي عايشها، وهنا يقول عن شروعه في كتابة الرواية" استحضرت الماضي بكل ما فيه من صور وانطباعات في ذاكرتي، وبدأتأكتب عن المحلة التي عشت فيها، عن الناس الذين عاشروني أيام تفتحي الذهني، عن الزمن العصيب الذي

1- عبد الرحمن منيف: المنفى والمدينة الأولى وجواز السفر، مجلة البديل، العدد17، عدد مزدوج، دمشق، ص16.

2- هيئة تحرير: مجلة الثقافة الجديدة، البدايات، التكون، ص115.

عشنا فيه، نحن الذين فتحنا عيوننا على عالم الحرب العالمية الثانية، عالم البؤس والتقشف والحرمان..."[1]

ويظهر من خلال هذا الزمان والمكان التي تجري فيها أحداث الرواية ووقائعها فالزمان فهو أيام اندلاع الحرب العالمية الثانية والمكان هو الوطن وتحديدا بغداد وبالخصوص إحدى محلاتها الشعبية التي ولد"غائب طعمة فرمان" فيها وترعرع وسطها.

ملخص الرواية: تبدأ أحداث الرواية بحوار بين اثنين من شخصياتها الرئيسية وهي "سليمة" ويتجلى بؤسها فيما تعانيه من وحدة واغتراب، وحرمان من أبسط مقومات الحياة الإنسانية فبعد أن انتظرت الزوج طويلا وصبرت صبر أيوب جاءها الزوج " عليوي" " قالت هذه فرحة العمر....زوج عنده بيت وسيارة وأي قسمة أروع من هذه القسمة؟ ولم تدر أنها ستفقده في ساعة مشؤومة".[2] وتوفي زوجها وترك لها بيتا وابنا من زوجة سابقة وهنا بدأت معاناتها، إذ بدلا من أن يتعهدها ابن زوجها بالرعاية ويعمل لكي يعيلها، صار لزاما عليها أن تعيله وتعيل نفسها من خلال العمل كخبازة " حبيسة بيتها، تقضي النهار واقفة على التنور وتسهر الليل في تحضير العجين ولا تذهب أبعد من سوق الصدرية، ولا تشم غير رائحة الطولة"[3].

ولا يقتصر ابن زوجها "حسين" على إهمالها واستنزاف ما تكسبه من عملها من دريهمات قليلة، بل يهددها ببيع البيت والتصرف بثمنه، فسليمة تعيش حياة قاسية في زمن لا تتألف معه، حاضره مظلم ومستقبله لا يتراءى لها أفضل منه " وفي يوم العيد بكيت لأني وحيدة...ولان الشتاء سيآتي قريبا وسأسمع المزاريب وأخاف"[4]، وأما حسين فيتعرف أمام إحدى دور السينماء على فتاة وهي "تماضر" هربت من بيت أهلها لأن أباها أراد أن يزوجها دون رغبتها من رجل طاعن في السن، فيحتضنها حسين ويؤمن لها سكن ويضمن معاشرته لها، وفيما تفاجأت سليمة يوما بقدوم "مصطفى دلال"-أحد أصدقاء زوجها في البيت- ويتظاهر برغبته في مساعدتها فيقترح عليها أن يتوسط لها للمشاركة في رأس مال الفرن "

---

[1]- زهير شليبة: غائب طعمة فرمان، دراسة مقارنة في الرواية العراقية، دار الكنوز الأدبية، بيروت، دط، 1996، ص123.

[2]-غائب طعمة فرمان: رواية النخلة والجيران، الأعمال الكاملة، دار المدى، بغداد، ط2، 2009، ص163.

[3]- المصدر نفسه، ص24.

الصمون" الذي يملكه شخص أرمني "خاجيك" فتحصل على نصف واردات العمل مقابل أن تقدم 30 دينارا، ولكن غاية مصطفى الحقيقية هو الحصول على نقودها لكي يتاجر بها في السوق السوداء، ولكن تفشل صفقته التجارية وتتطور علاقته مع سليمة وتنتهي بالزواج منها، وحسين الذي كان يطالب سليمة بالمصروف يوميا هذا الأخير كان يقوم بوضع المال عند أحد الأشخاص الذين يتعاطفون معه وهو "صاحب أبو البايسكلات" فكان حسين يحصل على النقود من زوجة أبيه ويسحب النقود مما أودعه عند "صاحب" ليبذرها على ملذاته وعلى " تماضر".

و"صاحب" يمثل شخصية ناضجة وواعية، يرعى حسين ويقدم له النصح والإرشاد، ويبدي عدم رضاه عن سلوكه بل لا يرضى عن أي سلوك غير لائق أو مخالف للأصول، أي كان مصدره حتى ولو كان "ابن الحولة" أحد الأشقياء الذي كان يفرض سطوته على الناس بأسلوبه العنيف، فعندما يبدر منه تصرف غير لائق يؤنبه "صاحب" على ذلك، فيقابله " ابن الحولة" بالتهديد والتوعد.

وما تلبث أحداث الرواية حتى تتصاعد مكونة نسيجا من التوتر، يطبق بالتدرج حول "حسين" الذي يكادأن يغدو القطب الرئيسي للرواية، فمن ناحية تشهد علاقته مع "تماضر" تطورات غير متوقعة، فهو كان قد أجر لها غرفة في منطقة بعيدة "خلف السدة" اتخذها سكنا لهما، معتقدين أن عيون أهملها لا يمكن أن تصل إليها، إلا أن تماضر تشك

يوما بمراقبة أحد الرجال الريفين لها، فتشعر بالهلع وتطلب من "حسين" أن يوفر لها ملاذا أكثر أمنا، فيضطر إلى الموافقة على اقتراحها بأن يذهب إلى "الخالة نشيمة" التي تسكن في "الكرادة" قرب "البانزين خانة" فتوافق على أن تسكنها في إحدى غرف بيتها، وهنا تشهد علاقة حسين "بتماضر" تغيرا، إذ تأخذ الأخيرة بمطالبته أن يشتري لها هدايا، وكما تكشف أنها حامل، فيشتغل حسين بإيجاد وسيلة للحصول على نقود يستجيب بها لطلبات "تماضر" ويفكر في سرقة زوجه ابيه، إلا أنه لم يستطع، فيقرر بيع البيت ويستسلم العربون، وبعد أن يشتري لها أقراطا لتلبية رغبة تماضر، ويذهب لكي يقدمها إليهايفاجأ بعدم وجودها بالبيت، حيث دبرت "الخالة نشيمة" صفقة لكي يستحوذ على تماضر رجل آخر وهو "عمران– مضمنجي بستان البرتقال" وهنا تجاوبه الخالة نشيمة بفضاضة وتطرده من البيت

بمعونة رجل لم يعرفه، وهكذا تنتهي علاقته "بتماضر" بفقدانها وفقدان كرامته، وفقدان البيت الذي ورثه.

ومن ناحية أخرى فإن "ابن الحولة" ينفذ تهديده ويقتل "صاحب" وهنا يفقد حسين أقرب الناس إليه، الصديق الذي كان يأتمنه على أخص ما يملك، وهنا يجد حسين نفسه وحيدا، ضائعا، متوترا يمضي أوقاته في مقهى "أبي الشهاب" وفي أحد الفنادق "وصار بلا مأوى يمضي لياليه على سرير في فندق رخيص" "فما الذي بقى له في هذه الدنيا بعد كل هذا الفقدان، سوى الشعور بالحسرة ومرارة الخيبة" "ضل شئ بالدنيا تماضر وراحت، وصاحب وراح وحوش وراح"[1].

وإزاء كل هذا الفقدان الذي شعر به حسين، فيشتري سكينا ويذهب إلى "أوتيل الامراء" ويواجه الشقي " محمود ابن حولة" قاتل صديقه وراعيه فيطعنه حتى الموت وبذلك تنتهي الرواية.

وتتميز الرواية بأنها تضم عددا كبيرا من الشخصيات ولعل ذلك مرده إلى أنها مستمدة من خزين ذاكرة المؤلف، وما يحتشد فيها من وقائع وأحداث وتجارب شخصية من أيام نشأته في حي المربعة[2].

إلا أننا يمكن أن نميز بين صنفين من الشخصيات وهما:

1- شخصيات رئيسية: وهي محور أحداث الرواية وتتمثل في : سليمة الخبازة وحسين ومصطفى الدلال وتماضر

2- شخصيات ثانوية: تساهم بشكل كبير أو بآخر في مجمل مسار الأحداث وصياغة نسيج الرواية، وتتمثل في سكنة "الخان" مرهون السايس، والطولة، حمادي العربنجي، وزوجته رديفة، ورزوقي وزوجته خيرية، وفتيحة بائعة الباقلاء، وأسومه العرجة وبنتها بدرية، والعوانس الثلاث تسواهن وخديجة وأميرة، وآخرين من سكنة " حي الصافن" وصاحب أبو البايسكلات، ومحمود ابن الحولة وشخصيات تعيش خارج الحي ولكن لها تأثير في أحداث الرواية مثل: خاجيك الأرمني ونشيمة، وعمران المضمنجي.

1- غائب طعمة فرمان: رواية النخلة والجيران، ص305.

2- زهير شليبة: غائب طعمة فرمان، دراسة مقارنة في الرواية العراقية، ص146.

هي شخصيات عديدة مستلبة جديرة بالرثاء، تعيش في موكب البؤس وعلى هامش التاريخ، ويجعل نمط حياتها اليومية مركزها الحقيقي، تختلج في ذواتها مشاعر الغربة والاغتراب بشتى أنواعه وأشكاله، وعلى الرغم من كثرة عددها، إلا إننا حين نقرأ الرواية بتمعن نكتشف أنها ليست إلا وجوها عديدة لكائن بائس لا يحتمل التكاثر، فإنسان لا يتمايز عن غيره إلا بوعيه، فإن تماثل الوعي البائس وتساوى تماثلت الشخصيات- فكل الشخصيات متساوية ومتماثلة ويمكن ردها إلى نموذج اجتماعي واحد، وهنا يمكن القول أن كثرة الشخصيات في الرواية هي " كثرة تعدد ولا تنوع...وهي تتشابه إلى درجة التماثل والتطابق، في فقرها و ظروفها، ووعيها البائس ومصيرها وزمانها الآسن، وحتى لتبدو وكأنها مرايا متعددة مكررة، أو صورا منسوجة عن بعضها بعضا" ومن ثم فإن في مجموعها تمثل " نموذج إنساني واحد لزمن عاقر، ودور مغيب وحركة هامشية في مراوحتها ولا فعاليتها، ولا تهزنا العوامل التاريخية إلا لتفرقها أعمق فأعمق في رمالها المتحركة"[1].

وإنه من الممكن أن نلتمس المشتركات أو أوجه التماثل والتشابه بينتلك الشخصيات، فهي تشترك في كونها بائسة، مهزومة، عاجزة تلتمس الخلاص من ذلك الحلم وحين يشرع أحد في وضع حد لمعاناتها، فهي لا تحصد سوى الخيبة، فتنغرس أكثر في وحل البؤس، وتزداد ضياعا واغترابا.

وعندما نتحدث عن الشخصيات الثانوية في رواية "النخلة والجيران" فهي تساهم في خلق نسيج الرواية والتأثير في مسار الأحداث ومن بين هذه الشخصيات - ولا سيما ساكني "الخان"- " مرهون السايس وحمادي العربنجي وزوجته رديفة وأسومة العرجة والعوانس الثلاث- تسواهن وخديجة وفتيحة أم الباقلاء" ليسواأقل معاناة من الفقر والبؤس، إلا أن الهم الذي يؤرقهم ويقلقهم على الدوام هو خشية إقدام " الحاج أحمد آغا" صاحب الطولة على بيعها والتخلص منها وبدونها – الطولة- يزدادون إنغمارا في دوامة الضياع والاغتراب، وهنا لاحظت سليمة في أحد الأيام جمعا من النسوة يتحادثن، ويتوسطهن مرهون السايس باركا على الأرض ويبدو حائرا فسالت:

---

[1]- إلهام عون، الرواية الأولى من الأعمال الكاملة لغائب طعمة فرمان(النخلة والجيران)، دراما السكون، صحيفة النداء بيروت،العدد 13، الصادر بتاريخ1989/08/13، صفحة الثقافة.

خير إنشاء الله؟

ردت إمرأة عليها:عيني الدنيا خربت شكو إش صارحاج أحمد آغا باع الطولة[1]

وهذا الحدث هز سكان الطولة، إلا أن" مرهون السايس" كان أكثر تأثر به، وحاول حمادي العربنجي أن يواسيه، ولكن كل محاولاته التي قام بها لم تقنعه لأن الطولة حسبه "كانت قطعة عمره كانت بيته ومأواه ومملكته"[2].

وأما "خيرية" زوجة رزوقي، فإنها كانت تتبختر على سكان "الخان" وتتطلع إلى مزيد من الترفع عليهم بفضل وظيفة زوجها الذي يعمل عند الحكومة، فإنها في الأخير لا تحصد سوى الخيبة والفقدان والخسارة، فقد نقل المدير الذي كان يعمل زوجها فراشا " في مكتبه "..وجابو له مدير كلب بن سطعش كلب"فقد بادر هذا الأخير إلى نقل زوجها إلى شعبة "الأوراق" وما إن بلغها النبأ حتى إستشاطت غضبا على الحكومة، منددة بأفعالها " الغادرة" وصار لسان حالها كلما لقيت جمعا من سكان الخان" ماكو بعد الحكومة الله يسلمها ماكو بعد حكومة..... شفت عيني أبو مهدي أشلون نقلو رزوقي من فراش المدير للأوراق....."[3].

وهنا اغتراب خيرية لا يتجلى في واقعها البائس وإنما في وعيها البائس أيضا.

ويمكن القول أن هكذا تنتهي رواية " النخلة الجيران" دون أن تفلح أي من شخصياتها سواء الرئيسية أو الثانوية، في إيجاد حل مناسب وحاسم يكفل لها الخلاص من دوامة الاغتراب التي تعصف بها، بل تظل كل منها تدور مع دوران مسار الدوامة.

وهنا بتعبير أخر فإن الروائي" غائب طعمة فرمان" ينهي الرواية نهاية منفرجة، مفتوحة وغير محددة، فبعد أن أشار إلى السبل التي اختارتها الشخصيات لتسلكها في حياتها لم يوضح، على نحو بين إذا كانت استمرت على إتباع النهج ذاته، أم أنها ما لبثتأن غيرته واتخذت منحى أخر فتوغل في معاناة الاغتراب والعيش في حالة من البؤس والشقاء.

لعل من الممكن أن نعزو ذلك إلى رغبة "غائب" في إكمال هذه الرواية بعمل روائي آخر متمم لها، ويشمل على الشخصيات ذاتها، وبالأخص الأبطال الرئيسيين بحيث يعرض فيه ما ألت إليه مصائرهم، والواقعأن غائب قد أشار إلى هذا الأيام في إحدى اللقاءات، مبديا

---

[1] – غائب طعمة فرمان: رواية النخلة والجيران ، 46.

[2]– المصدر نفسه ، ص50-51.

[3]– المصدر نفسه، ص151.

اهتمامه بمصائر الأبطال، شأنه شأن قرائه المتلهفين لمعرفة النهايات الحاسمة الغائبة إذ قال" أنا نفسي أتساءل ما هو مصير (حسين)؟ بل أنا أحلم وأضع الخطوط الأولية لأكتب عملا أسميه "حسين وتماضر" وأصور فيه هاتين الشخصيتين بعد عشر أو عشرين سنة من نهاية "النخلة والجيران" كيف تصرفا؟ أين هما الآن في أحشاء المجتمع؟.... أتساءل مختلف التساؤلات، فأنا أريد وأمل أن أضعهما في فترة تاريخية معينة وفترة اجتماعية معينة في العراق لأرى كيف يتصرفون في تلك الفترة، وهذا معناه أن مصير البطل مازال يهمني، وهذا الاهتمام بمصير البطل دائما يلازمني فأبطالي ليسوا أناسا أكتب عنهم ثم أتخلى عنهم، إنهم لا يزالون يعيشون وأحاول أن أجعلهم يعيشون حتى هذه اللحظة لأنهم لم يؤدوا كلمتهم كاملة، ولم يؤدوا حياتهم كاملة، بل هناك أمامهم مستقبل وهناك تغيرات وهناك كل شيء"[1] وشاء القدر لغائب أن تبقى نهاية روايته مبعث تساؤل تبحث عن إجابات مفقودة، وكما صارت عودة غائب حلم محقق لم يتحقق، صارت مصائر شخصياته أيضا، مصائر معلقة حرمت نشأتها شأن مؤلفها من تحقيق حلم الاستقرار وينعموا بنهاية حكائية طبيعية.

رواية« خمسة أصوات »

خمسة أصوات هي الرواية الثانية التي ألفها الروائي "غائب طعمة فرمان"، وقد صدرت في عام 1967، أي بعد أربعة أعوام من شروعه في كتابتها، يقول عنها غائب عندما كانت على وشك الصدور " رواية ربما ستثير ضجة، ولا أتوقع أن يرضى عنها أحد"[2].

وأحداثها ووقائعها كانت في مرحلة الخمسينيات، وبالأخص مرحلة ما قبل الثورة 14 تموز 1958، وقد صرح هو نفسه عندما عمل في "جريدة الأهالي" و "بالحزب الديمقراطي" سنة 1954[3]، وهي مدة شهدت بروز نشاطات وحركات سياسية، وثقافية متنوعة، وتقلبات في مجال السلطة والحكم بسبب خوضها تجربة الانتخابات فضلا عن تدهور الأوضاع المعيشية.

---

[1]- نجم عبد الله كاظم: حوارات في الرواية، دار الشروق، عمان، ط1، 2004، ص98.

[2]- أحمد النعمان: غائب طعمة فرمان، أدب المنفى والحنين إلى الوطن، ص541.

[3]- جورج الراسي:لسان حال الأدب العربي، اللهم لا تدخلني في تجربة، ص49.

وهنا عكس غائب تلك المتغيرات من خلال أحداث وشخصيات ناقلا صورا من واقعه وما عرفه إبان تلك المرحلة من شخصيات وصراعها مع الحياة، التي وقفت ضحية ظروف قاهرة أجبرتها على تحديد خياراتها.

وتعتبر عتبة الإهداء التي استهل بها غائب روايته هذه هي مجرد تعبير عن ما أراد أن يقوله من خلال هذه الرواية وهي تقول" إلى أصدقائي في صراعهم مع أنفسهم ومع الآخرين"[1].

فهذه المقولة تظهر لنا موقف غائب الذي يرى العالم بشكل معين ويريد أن يوصل هذه الرؤية إلى الآخرين لإقناعهم بها.

ملخص الرواية: تتحدث الرواية عن خمسة أصداقاء يلتقون ببعضهم البعض بعد انتهاء وقت الدوام الرسمي، أو مساء كل يوم شاق، وينهونه بتجديد همومهم واستبدالها بغيرها، يتحلقون حول مائدة شراب في حانة صغيرة محاولين نسيان بؤسهم في ربعية عرق ومزات بسيطة من الباقلاء والحمص الرخيص.

وهنا يمثل "سعيد" الصوت الأول والشخصية الرئيسية في الرواية، يعمل محررا في جريدة "الناس" ويعيش في بيت صغير وقديم، والده موظف في إحدى دوائر الدولة، ووالدته ربة منزل وهو يعمل محرر لزاوية القراء ويستلم العديد من الرسائل لينظر في أمرها ويطرح قضيتها على الملأ، ولا ينتقي سوى الجدير منها في طرحه على الرأي العام، ويلتمس الحل المناسب ويرتجي حصوله أو يكتفي برسم طريق نحو الخلاص، وهذا ما كان يثبط عزيمته ويجعله ييأس من واقعه وحياته الاجتماعية والمهنية، ومن ثم يشعر بالاغتراب عما حوله، حالما بعالم آخر مثالي يتناسب مع قناعته ورغباته:" تعب سعيد.........وجلس مرخيا ساقيه.........قائلا لنفسه: إنه يحتني على السير في طريقي وأن أتطور، وهذا شيء صحيح، وأي إنسان لا يريد ذلك.... ولكن سعيد أحس برهبة تجوف قلبه، رهبة غير مفهومة على الإطلاق، ألعلها من تلك النسخ الخطية التي تأتي من سجن، ألعلها من تلك العلاقة الجديدة بين طليق وسجين ولو كان الأخير صديق الصبا"[2].

---

[1]– غائب طعمة فرمان: خمسة أصوات، دار المدى، بغداد، ط2، 2008، صفحة إهداء.

[2]– المرجع نفسه، ص117.

ومن بين المشاكل التي وقف سعيد حائرا أمامها، حيث استلم رسالة خطية مرسلة إليه شخصيا من فتاة إسمها "نجاة" وتبين له فيما بعد أنها زوجة صديقه "حميد" وأن إسمها الحقيقي "حليمة "، وتعتري سعيد حالة من التوتر والقلق، فقد وضعته في موقف لا يحسد عليه ولا يعرف ما الذي يتعين عليه فعله، هل يخبر صديقه باكتشافه للسر الذي أخفاه عنه وعن أصدقائه المقربين؟ أم يتخذ من الصمت حلا لتلك المشكلة وهنا تفاقم الشعور بالاغتراب عنده، وسبب له حالة من الصدمة تجاه واقعه الذي يعيش فيه، والذي حاول التأقلم معه" خاطب نفسه" ضع نفسك في موضعه لو باغتك هو على مثل ما تريد أن تباغته به، كيف ستتصرف؟ نعم كيف ستتصرف ؟أنت أشد الناس انغلاقا وتكورا على نفسك .فمن طرق باب بيتك?ومن دعوت إليه منهم ?لاأحد لأنك تستحي من هذا البيت....... ومن كونك لا تملك كرسيا يجلس عليه الضيوف، لا شيء لك فيه غير هذا السرير وهذه المنضدة التي صنعها لك أخوك"[1]

ولعل الحالة المعيشية الصعبة التي كان يعيشها سعيد كانت سببا في تنامي الشعور بالاغتراب لديه، فأخذ يبحث عن الخلاص، وفي أخر المطاف عمد إلى استحضار الماضي الهادئ، من خلال الذكريات التي تقبع في ذاكرته، طفولة وعفوية صريحة، وهدوء يخلو من متاعب الشباب وهمومها فيتذكر أزقة الحي الذي عاش فيه وشوارعه، مستمتعا باستحضار تلك الأيام.

ويتضاعف عند سعيد الشعور بالاغتراب مقرونا بهروب الذات إلى الماضي وهجر الحاضر من غبن وقسوة، والتي لا تلبث أن تزيد من تعاسته وتوغل في تهميشه، فهو مقيد حتى في اتجاهه الثقافي، ويشعر دوما أنه مهدد، ويعجز عن نيل ما يستحقه من الحرية " إنني مهدد دائما وأعيش ثقافيا على ما يرسمه الآخرون لي، وأحاط بالممنوعات والمحظورات والحكام ينظرون إلي كمشبوه"[2].

وأخضع"سعيد" نفسه لتجربة فريدة من نوعها، وهي ركوب "طائرة عنكبوتية"* مع مجموعة من الجنود الأيام يكان لرؤية حدث معين وهو فيضان طغى على بعض مناطق بغداد والحديث في مقالة عن مدى مساهمة هؤلاء الجنود في التقليل من الخسائر المادية

---

[1]- غائب طعمة فرمان: خمسة أصوات ، ص55.

[2]- المصدر نفسه، ص65.

والبشرية وذهبت محاولة سعيد سدى، إذ لم يمنحه الوقت فرصة الكتابة عن تلك المجازفة، وذلك بسبب تدهور الأوضاع العامة والتغيرات السياسية والتقلبات الحاصلة في السلطة، فقد أصدرت الحكومة عدة قرارات، ومنها غلق جريدة "الناس" التي يعمل بها، وهذا ما اضطره إلى طرق أبواب لم يفكر يوما في احتمال طرقها، ولكن الأبواب التي طرقها أوصدت مصرعيها في وجهه رافضة انفراجها، فما كان منه إلا اللجوء إلى مكان يخشاه دوما، وهو الخروج من قلب حبيبته "بغداد" والخضوع لتجربة غربة مكانية قسرية، وهنا قرر السفر إلى سوريا آملا أن يجد عملا كمعلم في إحدى مدارسها.

إن الظروف الصعبة التي عاشها "سعيد" لم تكتف بجذبه نحو أجواء الاغتراب، وإنما وسعت دائرتها لتشمل غربة آخرى، غربة مكانية تبتعد عن الوطن ومرتع الطفولة والصبا، وهنا وبعد أن حسم أمره ما لبث أن شعر بالحيرة إزاء قضاء ليلته الأخيرة في بغداد، وكيف سيمضيها؟ وإلى أين؟ " سيقضي ليلته الأخيرة في بغداد وحيدا بلا أصدقاء...وجعل يحتسي خمرته على معدة خاوية بنية من يتعجل السكر، غدا لن تكون أمامه هذه المناظر- ستغيب دجلة عن ناظريه وال‌أهل والأصدقاء والأماكن المألوفة وتبدأ حياة الغربة"[1].

وهنا قدر لسعيد أن يمضي أسوأ ليلة في حياته، وهي ليلة سفره، محاولا إشباع ناظريه بمناظر وأجواء بغداد قبل مغادرتها، فهو يجهل توقيت عودته، ويجهل ما ستؤول إليه حياته حين يطأ بقدميه أرضا غريبة لم يألفها من قبل " كنت وحيدا في أخر ليلة في بغداد ويائسا"[2].

أما "عبد الخالق" فهو الصوت الثاني من الأصوات الخمسة شاب مثقف تخرج من الجامعة الأياميكية في بيروت، يعمل محاميا وله مكتبه الخاص، وهنا أنه يعد أفضل حالا من أصدقائه، لكنه في الباطن هو إنسان محبطا ويائسا من الواقع الذي تواجد فيه يهيمن عليه شعور طاغ بالاغتراب، بحيث يأمل في حصول تغيير جذري في نمط حياته الراكدة.

يتنامى شعوره بالاغتراب إزاء الحياة التي يعيشها في بيته، فيما يعتمل في صدره اغتراب نفسي مكبوت" أجال بصره في غرفته، هذه ليست غرفة بل زائدة دودية، فصلت عن غرفة

1- غائب طعمة فرمان: خمسة أصوات، ص348-349.

2- المصدر نفسه، ص352.

الضيوف بستارة، ووضع فيها سرير حقير هنا، وخزانة من طراز قديم هناك، وكرسي لا يصلح أن يكون في غرفة الضيوف، وطاولة تعود إلى أيام تلمذة والده"[1].

وهنا عبد الخالق يتطلع إلى الراحة التي ينشدها دوما وهذا من خلال تفادي الوحدة والهواجس وعدم الاختلاء بنفسه حتى لا تساوره أفكار لا يطيقها، وهنا كان يمر بلحظات ضيق وإجهاد فكري ويشعر بنفسه مقيدا غير قادر على الحركة بانطلاقه عفوية، يناجي الحرية للخلاص من هذا العذاب.

وإن تدهور الأوضاع السياسية والتغيرات الحاصلة في المجتمع العراقي مردودا سلبيا على جيل الشباب وما أحدثه من زعزعة فكرية وثقافية في الوسط المثقف عامة، وهنا صار يناجي الحرية والاستقلال وكان عبد الخالق من بين الشباب الذين عانوا من كل ذلك وإن لم نقل كلهم إلا جزء قليلا منهم.

وأما الصوت الثالث فهو صوت "إبراهيم" الذي يعمل في رئاسة تحرير جريدة الناس، الجريدة نفسها التي يعمل بها صديقه "سعيد" حائز على شهادة "البكالوريوس" من " كلية الحقوق" وعلى الرغم من كونه وحيد أبويه، إلا أنه يشعر بالاغتراب تجاه شيئين إثنين بيته ووالديه، فهو يصارع ذاته التي تصر على إشعاره بالاغتراب الذي يرفضه، لكنه لا ينفك يستسلم له مجبرا" وشعر بارتياح حين غادر البيت، إن هذه الأزقة الملتوية المؤدية إلى الشارع الرشيد تشعره بطمأنينة أكثر مما يشعر بها في بيته الهادئ"[2].

إن إبراهيم كان يطمح لأن يكرس كل جهوده في بداية حياته المهنية، لأنه يبلغ مستوى مهني متميز ولكن والديه عزما على تزويجه من ابنة عمه وقد خضع لرغبتهما وخاض التجربة، إلا أنه حرص على بناء عش خاص به بعيدا عن ذلك المكان الذي نشأ فيه، لعله يصنع لنفسه حياة جديدة لم يألفها من قبل، إلا أن الظروف ما لبثت أن عاكسته وواجهته بصعوبات لم يتوقعها، الأيام الذي اضطره إلى أن يعود مرة آخرى لنقطة البداية أي العودة إلى بيت أهله والسكن معهم بسبب عجزه عن إبقاء الأوضاع على الشاكلة التي أرادها دوما، وعدم القدرة على إحكام قبضته عليها.

---

[1]- غائب طعمة فرمان: رواية خمسة أصوات ، ص62.

[2]- المصدر نفسه ، ص24-25.

أما "الحميد" فهو الصوت الرابع في الرواية، وهو شاب مثقف ،خريج كلية التجارة يعمل موظفا في أحد البنوك، يعاني في حياته من أمر لم يختره بإرادته، وإنما أملاه عليه أبوه منذ الصبا، حيث قرر أن يزوجه وهو مازال طالبا في الصف الرابع ثانوي وكان " زواجه عملية لم يشترك في التحضير لها، ولم يتعهد تبعاتها، ولم يخسر شيئا فيها"[1] إلاخسارة حقه في إتخاذ هذا القرار، وفقدان راحة البال، فهو دائم الشجار مع أمه وزوجته حليمة، وكان أبوه هو الذي يقوم بأعباء البيت ويطعم الزوجة ويكسوها، وهذه الحالة لم تستمر وذلك بعد وفاة والده، "الشيء الفاجع في وفاة الأب هو أن حميد، أحس لأول مرة في حياته بأن له زوجة وأولادا وبيتا"[2] وأشعرته بذلك أمه وأخته أكثر من زوجته وأولاد، ذلك لكون حميد عود زوجته منذ بداية زواجه على أنه لم يهتم بأمور البيت، لأن حليمة بحكم كونها يتيمة كانت تميل إلى السكينة والاستسلام والرضا، حيث اعتادت منه الإهمال والمجافاة فقد" علمها الصمت منذ كان طالبا"[3].

ومن هنا بدأت معاناة "حميد" فهو أمام واقع جديد فرضه موت الأب، ويتطلب منه القيام بدور المعين اتجاه أسرته، ولكنه اقتنع بأنه ليس مؤهلا للاضطلاع بهذا الدور، وسرعان ما حسم موقفه بأن أوكل لزوجته أمر " بيتها وأولادها ومشاغلها، وكانت له حياته ومسراته ومشاغله"[4] ولم يعد البيت سوى مأواه الليلي فقط، وكثير ما يكون سكرانا، ويتعدى على زوجته بالضرب.

واستمر حميد يعيش حالة من الازدواجية، وراضيا بها لعدة سنوات، له حياة مخفية في بيته ، يبدو فيها عربيدا وحياة يظهر بها أمام زملائه في العمل وأصدقائه في سهراته كإنسان طيب اجتماعي، مجامل لبق، وكان من المحتمل أن تستمر هذه الحالة، لولا إن معاناة الزوجة لفتت انتباه أحد جيرانها وأثارت شفقته، فبادر بكتابة رسالة إلى جريدة الناس في باب "مع الناس" ومحررها صديقه سعيد، على لسان زوجته، موقع باسم مستعار وهو نجاة، تصف فيها معاناتها وتطلب منه إيجاد حل لها، وما لبث الجار حتى قام بزيارة سعيد في

1- غائب طعمة فرمان: رواية خمسة أصوات، ص33-34.
2المصدر نفسه، ص297.
3- المصدر نفسه، ص297.
4- المصدر نفسه، ص298.

الجريدة وأطلعه على أن نجاة أو بالأحرى حليمة ما هي إلا زوجة صديقه ورفيق سهراته "حميد" طالبا منه التدخل لإصلاح الحال، وتخليص الزوجة والأولاد مما هم عليه من فقر وإهمال ،ويصارح سعيد صديقه "حميد" مما عرفه عنه، إلا أن هذا الأخير يؤجل البحث في المسالة إلى وقت لاحق، وعندما يحين الوقت يعاود سعيد فتح الموضوع معه ويفاجئه هذا الأخير بقوله سعيد، ماذا تريدني أن أفعل؟ تورطت, وورطوني.

تمتم سعيد بحزن: وددت لو تصلح سلوكك نحوها[1].

ولكن سعيد لو يوفق في حل هذه المشكلة، لان حميد كان يتهرب من مواصلة البحث في الموضوع كونه يعد نفسه ضحية هذا الزمن الجائر، بحيث لم يختر مصير بنفسه وتزداد المآسي في بيت حميد بعد وفاة ابنته المريضة التي كانت تشكو من "روماتيزم القلب"[2]، وهنا تركت حليمة المنزل وقررت السفر إلى أهلها وتحديدا عند عمتها في مدينة كربلاء، إلا أن حميد استجمع جملة من الإشارات الضخمة في رأسه حيث بات يشك أن هناك علاقة بين زوجته وجارها ستار الذي كان يقدم لها يد العون، خاصة بعدما أوصلها إلى "الكراج" لكي تسافر إلى مدينة كربلاء، وإزاء كل هذا قام حميد بتطليق زوجته حليمة، وهنا يتبين لنا أن كل ما حل بأسرته وحياته مزال يعد نفسه ضحية، ويتعامل مع كل ما حصل ببرود تام وأنه ليس مسؤولا عن ذلك، وما يدل على ذلك هو أنه حاول بناء قصة حب وغرام مع زميلته في العمل سلمى، ويعترف بهذا لأحد أصدقائه ويقول حميد" إبراهيم أخوك مغرم من المحبوبة؟ موظفة عندنا بالبنك[3].

وعلى الرغم من محاولاته للتودد إليها، إلا أنها لم تتجاوب معه البتة، وليثبت صدق نواياه فعرض عليها الزواج، ولكنها تعاملت مع عرضه بصرامة وجفاء، وهنا طلب منه تفسير لذلكأبلغته بأنها على علم بكونه متزوج وله أولاد، لكنه أقسم لها بأن هذا غير صحيح ولكنها واجهت بالوقائع الدافعة

سألته فجأة؟ هل سمعت بالدكتور رؤوف؟

---

[1]–غائب طعمة فرمان: خمسة أصوات، ص133.

[2]– المصدر نفسه، ص102.

[3]– المصدر نفسه، ص76.

الدكتور رؤوف؟ إسم يبدو لي مألوف!إنه ابن خالتي الدكتور الذي عالج ابنتك، ذهبت إليه مع صحفي من جريدة الناس، صعق لم يستطعأن يقول شيئا، هذه الحقيقة لا يستطيع إنكارها[1].

وهنا انهارت أحلام حميد وخططه التي رسمها من أجل أن يطور الجانب الظاهر والمضيء من حياته، حتى ولو على حساب الجانب الآخر من حياته، الجانب الخفي المعتم، ولعل ما يدعوا للاستغراب أنه حتى عندما تكشف الصدف حقيقتة، يتكابر ويحاول أن يلقي المسؤولية على صديقه سعيد "سألقنه درسا نعض عليه حياته جزاء وفاقا.الحقير يعتبر نفسه فاعل خير, فاعل شر مخرب بيوت"[2].

أما" شريف "فهو الصوت الخامس في هذه الرواية، وهنا سلط غائب الضوء عليه ليعبر عن الجانب الآخر من المجتمع وهو الجانب العاطل عن العمل، وشريف هو شاب مثقف، لا يمتلك شهادة علمية، لأنه لم يكمل الدراسة وإنما يمارس نشاطه الأدبي من خلال اهتمامه بالأدب الحديث وال‌أوربي، حيث جاء من مدينة "بعقوبة" واستقر في بغداد، يسكن في غرفة فوق مبنى جريدة الناس التي يعمل فيها صديقيه حميد وإبراهيم، عرف شريف دوما بلهفته نحو خوض مغامرات عاطفية، إذ لديه توق دائم للحب والمرأة، ويجد في الخمرة المسكن الذي يخدر به جسده من آلام معاناته وغربته المكانية واغترابه النفسي، وهو غريب الطباع ليس له في بغداد أي أقارب وأصدقاء سوى أصدقائه الأربعة الذين يلقبونه "بودلير العصر" لشدة شغفه بالشعر وقراءة المؤلفات الغربية، وثقافته التي يتع إلى بها على غيره، ولكنه يجد نفسه غير محظوظ البتة، فرغم الثقافة التي يحاول إثراءها وتنميتها إلا أنه لم يحصل على الفرصة التي توافق متطلباته ورغباته " هبط عليه الوحي أخيرا.....وحي متعكر صلف.... ولم يعجبه الوحي ......غضب وقال لنفسه أنا لم أعرف هذا الترف أنا من أرض العباقرة الجياع النائمين على سطوح الجرائد، أنا بودلير العصر"[3].

كان يشعر دوما بعدم الارتياح والقلق لجهله لمصيره، وبما ستؤول إليه حياته ومستقبله، ولكن لحظات قليلة يشعر فيها بالاطمئنان وهو جالس قرب إحدى الفتيات، والتي تدعى "

---

[1]- غائب طعمة فرمان: رواية خمسة أصوات، ص256-257.

[2]- المصدر نفسه، ص299.

[3]- المصدر نفسه، ص44.

صبرية" التي تعرف عليها مصادفة، وانجذب لطيبتها، ورغم سوء العمل الذي تمارسه، وهو بدوره يشعرها بدف العاطفة ويعوضها بقليل من الحنان الذي تفقده، في حين تمنحه لحظات من الاستقرار يتمنى العيش فيها دوما وفي هذه اللحظات كان يتخلى عن قناع اللامبالاة والتفاؤل وحب الحياة التي كان يقتنع بها أمام الآخرين، وتنفرج بذلك أبواب معاناته التي يحاول أن يوصدها دوما ويكبتها في صدره لا يمنحها فرصة الخروج وتعكير حياته أكثر ما هي معكرة"...كانت لأمنا جمع من البنين والبنات...كانت تحبهم جميعا، وتغدق لهم خيراتها، وتقريهم إلى موائدها، إلا أنا فقد كانت تحرمني من الشيء الكثير، كانت تقول لي يا شريف إذهب إلى الجوع والتشرد أنا أكرهك"[1].

وظل شريف ضائعا وتائها، يهيم في عالم الأدب والأدباء، وإذا كان الشعر يخمد لهيب روحه فإن الخمرة كانت تخمد تأزم جسمه لاسيما بعد أن علم بزواج صبرية ومرافقتها لزوجها الذي أرسلته الحكومة للدراسة على نفقتها[2].

أما الشخصيات الثانوية التي كان لها دور في خلق النسيج الرواية هي " صبرية" وهي إحدى صديقات أو عشيقات شريف، وهي تعد نموذج ثانويا من نماذج الاغتراب في هذه الرواية فهي تعاني وحدة وغربة مكانية، وليس لها أيه أحلام وأهداف، ضاع منها كل شيء نتيجة غدر زوج وحبيب لا يؤتمن، كان سببا في طريقها للانحراف، وفضلا عن غبن والدتها واضطهادها لها فوقعت في بئر الخطيئة بدلا من عثورها على وسيلة للخلاص من معاناتها وأزمتها: "....وقالت متوجعة ...كنا أختين وأخ، وكانت أمي تحبه أكثر من كل شيء في الدنيا، ولما مات بالتيفوئيد صارت تحب أختي فخرية، وكانت تكرهني مثل عزرائيل، ليس ما أدري....وكانت فخرية تلبس الملابس الجديدة من البزار وأنا ألبس الخرق، وكانت تأخذها معها للجواريين، وتفرجها للخطابات وأنا طوال الوقت في البيت أغسل ملابسها، حتى تزوجت فخرية....وبقيت قاعدة في البيت، كانت أمي تقول:أنت راح تقعدين على قلبي ،لو تموتين ماتجي الخطابة للبيت،قلت لنفسي لازم أن تقم منها لازم أتزوج.....وصرت أطلع البيت، وأروح على الشط حتى شفت لي ابن الحلال أو تصورته ابن الحلال"[3].

---

[1]– غائب طعمة فرمان: خمسة أصوات، ص195.

[2]– المصدر نفسه، ص326.

[3]– المصدر نفسه، ص187.

وفي يوم من الأيام طلع ما رجع، تركني بولاية ما عندي فيها أحد، حتى جاءت امرأة اخذتني إلى بغداد حتى صرت بهذا الحال[1]، وحينما التقت صبرية بشريف وتآلفا معا، من حيث طبيعة المعاناة وقلة الفرص والخيارات المتاحة أمامها، وهنا صارت تأملها هو آت بكل تفاؤلية وبهجت، والتخلي عن السوداوية التي تطغي حياتها وهنا استجاب القدر لأحلام صبرية، فقد تزوجت من شاب مثقف متعلم وسافرت معه في بعثة العلمية إلى فرنسا لتباشر حياة جديدة وغربة من نوع آخر غير الذي تعودت عليه والفته.

ويمكن القول إن "غائب طعمة فرمان" أراد من هذه الروايةأن يقول بأن الأصدقاء الخمسة أو الأصوات الخمسة بحد تعبيره، أن كل واحد منهم يخوض صراعا مع نفسه، من أجل بلوغ الأهداف التي قررها لنفسه ولكل طرف من هؤلاء الأطراف مشاكله التي يتطلع للتكيف معها، بحيث يجتاز كل واحد منهم اختبارات،ويواجه مواقف صعبة ولكنه يظل متماسكا مصرا على بلوغ ماينشده ،فكل واحد يتحرك من خلال أحداث الرواية في مسار يتجه نحو الأمام أو بالأعلى ليس مهما، فالمهم أن يتحرك أمام أو صعودا، إلا أن تقع عليهم الحادثة الكبرى التي تجتاح وطنهم وهو الفيضان وسقوط الوزارة، فهذا الحدث كان بمثابة نقطة تحول في حياة تلك الأصوات، إذا توالى

بعده انحدار الخط البياني لمسار حياتهم، وفقدان ما كانوا يحلمون به، ويتطلعون إلى تحقيقه من أهداف، تخلصا من الاغتراب الذي يهيمن عليهم، فلقد فقد "سعيد" عمله ومصدر رزقه، وبات يشعر بأنه عالة على أبيه الذي ينخر مرض السل رئتيه، وفقد همته في إحداث تغير في حياة الناس، من خلال ما يكتبه في الجريدة[2]، وبدا له أن الحل الوحيد الذي يخرجه من أزمته هو السفر إلى سوريا ليعمل هناك معلما، وفقد إبراهيم عمله وعلى الرغم من عزمه العمل في سلك المحاماة، إلا أنه لم يضمن له مردودا يمكنه من دفع إيجار البيت وتوفير متطلبات العيش له ولزوجته وبدا له أن الحل هو أن يعود للسكن في بيت أبيه[3]، وفقد عبد الخالق هو الآخر عمله، وفقد شريف مأواه على سطح مبنى الجريدة، وبات من رواد فنادق الدرجة الرابعة، أما حميد فقد زوجته وأطفاله وفقد "سلمى" حبيبته وأمله في تكوين حياة

1- غائب طعمة فرمان: خمسة أصوات ، 188-189.

2- المصدر نفسه، ص339-345.

3- المصدر نفسه، ص345

زوجية سعيدة. وهكذا انتهى الحال بتلك الأصوات التي كانت تعاني أصلا من الاغتراب إلى التبدد والتناثر وليدخل كل واحد منها في دوامة جديدة من الاغتراب والضياع والمعاناة دون أمل في الوصول لنهاية واضحة المعالم.

رواية المخاض:

أصدر الروائي "غائب طعمة فرمان "رواية المخاض في عام 1974إلا أن أحداثها تجري بعد ثورة 14 تموز 1958 وتحديدا خلال 1959[1]، عندما كان على حد تعبيره " الناس كلهم يتحدثون في السياسة" فقد كانت تلك المرحلة تمثل مرحلة مخاض صعب ومعقد سواء من الناحية السياسية أم الاجتماعية، وتميزت بصراع الأحزاب على السلطة وتغيرات سياسية حادة، لأن مجيء سلطة سياسية جديدة في أسلوب حكمها وتوجهاتها في قيادة الحكم، ولكن سرعان ما تبين للناس أنها لم تكن بذلك القدر من الكفاءة، بحيث لم تتمكن من تخليص الشعب العراقي من المشكلات التي تواجهه، وهذا ما جعل غائب معبأ بشتى تجارب المعاناة والتي أزاحها عن صدره بصبها في مجرى أحداث رواية المخاض ويقول:" في هذه الرواية قد سكبت بالفعل ،عصارة أعماقي حتى إن بعض المشاهد تعبير مونولوج داخلي: البطل الذي يتذكر فترة مكوثه خارج الوطن وكيف تراوده المخاوف من الغربة"[2].

وصرح غائب بالدافع وراء كتابة هذه الرواية، مؤكدا صلتها به ومدى تعلقه بها، وإذ قال "في المخاض كان الدافع إحساسا في الغربة شعرت به يكويني"[3].

إن أحداث رواية المخاض تجري زمانيا في زمن حكم " عبد الكريم قاسم" وهذه المرحلة أحدثت ضجة كبيرة في أوساط المجتمع العراقي،أما من حيث المكان فهي المدينة بغداد، التي تعلق بها غائب تعلقا شديدا ويسعى دائما للتواصل معها.

ملخص الرواية: تسرد لنا الرواية قصة شاب يسارب يدعى "كريم داود" وهو شاب مثقف نشأ وتربى في بغداد، من عائلة ميسورة الحال، مؤلفة من أم وأب وأخ، وهو طالب في كلية الآداب دفعه وعيه السياسي، وشعوره الوطني إلى خوض تجربة جديدة مع زملائه، إذ شاركهم في إحدى المرات، بإضراب جماعي عام 1954م، ولكن عادت عليه هذه التجربة

1– نجم عبد الله كاظم: حوارات في الرواية، ص87.

2–غائب طعمة فرمان: الكتابة في المنفى، مجلة البديل، ع13، 1989، ص5–9.

3– هيئة تحرير مجلة الثقافة الجديدة، البدايات، التكون، الغربة، لقاء مع الروائي غائب طعمة فرمان، ص99–118.

بما لم يحسب له حساب، إذا قررت السلطة فصله من الكلية، وتعترض للاعتقال، وهو يتذكر تفاصيل مكان الاعتقال" فتح الباب الحديدي المشبك، ودخلت الساحة الصغيرة وقفل الباب من دوني أنا أعرف هذا الموقف أيضا بحجراته الثلاث المطلة على باحة صغيرة، حجرتين كبيرتين متجاورتين إلى يسار الداخل"[1]وبعد هذا الاعتقاد لاضطر إلى مغادرة الوطن ،والابتعاد عن الأهل، وكانت رحلتة متعددة المحطات، لاستقرار فيها بدأت بسوريا إلى لبنان ثم إلى مصر وانتهت بالصين، وهنا بدأت حياة كريم في المنفى حيث دامت ستة أعوام مليئة بمشاعر الاغتراب والحنين والشوق للوطن، ولأهله الذين يفقدهم في كل حين.

وهنا حاول كريم التأقلم مع الواقع الجديد، حيث تعرف على أصدقاء جدد،ووجد عملا بسيطا ،خلف آلة كاتبة يطلق ما يضيق به صدره على مفاتيحها،ولكن محاولته هذه باءت بالفشل لأنه كان يشعر دوما بإحباط والاغتراب وكان يشكو حالته إلى صديقة صينية تعرف عليها في غربته وكانت تسمع شكواه بأذان صاغية "...أحسست بالسوداوية تملا جوانحي وانزويت مفكرا من أنا؟ وأين أنا، أنا هنا في مهرجان المرح والغبطة بينما أنا في أعماق نفسي تعيس حزين متشرد تفصلني عن بلادي آلاف الأميال"[2].

وهنا عاش كريم حياة لم تنعم يوما بالراحة أو الاطمئنان، فهو لم يتوقع أنه سوف يعاني كل ذلك عندما يغادر العراق، ولكن ما لبث كريم حتى قرر إنهاء معاناته وذلك بالعودة إلى أرض الوطن.

حيث أرسل رسالة إلى أهله في العراق، يخبرهم فيها بموعد رجوعه، ولكنه عندما وصل إلى مطار الوطن الحبيب فوجئ بعدم وجود أي فرد من أسرته قبالته، ولكنه برر تخلفهم عن المجيء واستقل سيارة أجرة، ليذهب إلى بيته ويفاجئ أهله بحضوره ،غير مدرك أن الوطن يحمل له العديد من المفاجأت التي لم يكن يتوقعها، وعندما وصل إلى محلته حتى وجدها عالما غير العالم الذي شب عليه، فقد هدمت بيوتها واستحالت المحلة إلى ساحة واسعة يوسطها شارع عريض تتجول فيه السيارات، ولكن لحسن حظه كان سائف سيارة الأجرة "نوري" ذو قلب رحيم وعاطفة لا تصدق، فلم يترك كريم وحده ضالا في بلاد توقع أنه سيتعرف عليها ويمتزج بها، لكنه اضطر أن يبيت في مكان غريب في وطنه الذي عاش في

[1]- غائب طعمة فرمان: رواية المخاض، مطبعة الحرية، بيروت، دط، 1974، ص293.

[2]- المصدر نفسه، ص324.

روحه وخياله طوال ستة سنوات من غربتة" والموجع أني سأقضي ليلتي الأولى في وطني وحيدا في فندق عفن، وذلك عكس توقعاتي، كنت أتصورهم سيرضون عني عائدا محملا بالهدايا.... ماذا كسبت من الغربة؟"[1].

ولقد شعر بالحزن والندم على غربته، وعلى سنوات البعد التي أنهاها بعودة لم تقلل من معاناته وإنما زادتها تعاسة وحزن وتأس ولكنه نظر إلى جانب مشرق في معضلته هذه، وهو شعوره بالانتماء الذي صار شعور خالدا في وجدانه، والغربة هي التي روتها وساعدتها على الخلود والبقاء" غربتي !ليست غربتي كلها شرا وقطعية، لقد تعلمت منها الشيء الكبير، فهي على الأقل جعلت الوطن في عيني معنى لم أعرفه طوال حياتي على أرض الوطن،وهو الانتماء"[2].

وبينما كان كريم غارقا في حل لغز المتاهة التي حلت بوطنه، تقدم منه سائق الأجرة " نوري "لينقذه من هذه الحالة، حيث قام باصطحابه معه إلى بيته البسيط الواقع في منطقة " حمام المالح" وهنا يستجيب كريم لدعوته، ويعرفه بزوجته هدية، ويشارك معهم البيت ذاته، وبعد أن توفر له مأوى شبه ثابت قام بالبحث عن خيط يوصله إلى أهله الذين رحلوا، إلى مكان آخر لا يعرفه ولا يجد أحد يعرفه، وفي إحدى جولاته للبحث عن أهله المفقودين، يلتقي بصديق النضال القديم " مهدي عبد الصمد" الشاب الثوري المناضل، ويتعرف من خلاله على مجموعة من طلبة الجامعة، وينصت إلى نقاشاتهم السياسية التي أوضحت الوضع السياسي القائم آنذاك في البلاد وكما يتعرف على صديق آخر وهو" إسماعيل" صحفي فلسطيني من الأردن، وغيره من الأصدقاء الذين لم يشعروا بالراحة التي يفتقدها وطنه، وهنا يمضي أسبوع على قدومه إلى بلده الحبيب بغداد.

وفي نهاية المطاف يلتقي كريم صدفة بابن محلته القديمة والذي يدعى عدنان وهو جندي ،ومن شدة فرحته به وغبطته لم يدر كيف يتصرف، أو ماذا يفعل سوى أن يخبر صديقه إسماعيل قائلا:" إسماعيل هذا رجل من محلتي المفقودة"[3] ومن خلال محادثةأجراها

1- غائب طعمة فرمان: رواية المخاض، ص116.

2- المصدر نفسه، ص161.

3- المصدر نفسه، ص359.

مع ذلك الصديق القديم الذي بدا أنه من المنتفعين من النظام الجمهوري، ومن خلال كل هذا لا يفلح كريم في العثور علىأسرته، ويبدوا أنه مقتنع بأمرين لامناص منهما:

1- استمر في البحث، من خلال استمداد طاقته من خلال الذكريات التي ترسخت في ذهنه

2- التكيف مع الواقع، والحرص على عدم الانجرار وراء تجربة سياسية جديدة على غرار التجربة التي خضع لها وغيرت حياته كلها"...وأنا حتى الأن لا أحس بشيء ثابت حولي، ثورة، جمهورية، مشاريع ، أحلام توقعات، عناوين جبارة في الصحف......"[1].

أما شخصية "نوري" التي قامت بمساعدة كريم في محنته، وكان يعاني من الاغتراب السياسي بحيث يقتنع بأن السلطة الحاكمة لا تستحق سوى النكران وعدم الاعتراف " ما راحأعرف الحكومة ولا هي تعرفني، هي تمشي بدربها وأنا أمشي بدربي"[2].

وهذه القناعات السياسية لم تحول دونأن تورطه في مشكلة ،غيرت مسار حياته، فقد دهس يوما راكب دراجة وقذف به على بعد أمتار منه، فبادر إلى نقل المصاب ،ويدعى "ياسين" إلى المستشفى، وهنا قررت السلطة حجز نوري في سجن، وهنا قدم اعتذاره وتأسفه من المصاب " سامحني يا بني أنا الملعون إلى يوم القيامة" وهذا الفتى لم يقدم شكوى ولكن الحق العام أخذ بطائلته منه" حكمت المحكمة بغلق القضية، على أن يبقى الحق العام، وهو يقضي بأن تسحب من السائق "نوري حسن" إجازته لشيخوخته وضعف بصره"[3].

وبفعل هذا الحكم الذي نطق به القاضي، خيمت التعاسة والمرارة على حياة نوري، فبعد أن كانت مهنته تقطب جروح الزمن له، وتخفف عنه معاناة حرمانه من حياة أسرية لم يحظ فيها لا بولد ولا تلد، فإنها ما لبثتأن انتهت بشيخوخة حافلة بالتعاسة، جراء العجز والعوز، واجترار ذكريات قسوة الحياة.

هذه هي الشخصيات الرئيسية التي تمحورت حولها الرواية "كريم داود" و"نوري حسن" سائق سيارة الأجرة أما الشخصيات الثانوية ولعل أبرزها هي شخصية " مهدي عبد الصمد"

1- غائب طعمة فرمان: رواية المخاض، ص322.

2- المصدر نفسه، ص252.

3 - المصدر نفسه، ص361.

وشخصية محسن وإسماعيل وسدي أحمد هاشم" وهنا تعد رواية " المخاض" رواية عن الاغتراب، والترقب والحنين واللهفة للوطن على نحو تام وقد وظف غائب تلك المشاعر في شخصية البطل "كريم" وفي سلسلة الذكريات التي لطالما تحي فيه هاجس الانتماء والوطنية.

ولقد صرح غائب في عدة لقاءات ومقابلات أجريت معه، بمدى ارتباطه بهذه الرواية لا سيما من حيث خوض تجربة الاغتراب خارج الوطن، تجرع مرارة المنفى ويقول غائب عنها:" إذا كان لا بد من أن تكون لي رواية تربطني بها صلة خاصة فهي " المخاض" لان ذلك متصل بالشعور بالمنفى"[1].

وما يلفت الانتباه أن غائب قد أظهر من خلال أحداث الرواية ،ومسار حياة الشخصيات فيها بعدا سياسيا واضحا، حين بين ما تسببه السياسية من معاناة وتدهور ظروف الحياة والأحوال المعيشية للشعب الذي يخضع لقرارات لم يشارك في اتخاذها، أو لم يقتنع بها، ووقف أمام واقع سياسي مفروض عليه، وهنا عبر عن هذه الانعكاسات السلبية للسياسة على المثقف العراقي وحاول من خلال ذلك إبراز وطنية الفرد العراقي وانتمائه لوطنه ومدى تأثير ذلك في حياة البعض ولجوئهم إلى الاغتراب خارج الوطن، ثم الحنين للوطن وشدة الانتماء التي تدفعهم للرجوع إلى الوطن التي تركوها بقناعة أو مجبرين على ذلك، ولا سيما عند ما تتسع رقعة الاغتراب لتشمل خارج الوطن وداخله.وتنتهي الرواية بـأحداث مبتورة،فكريم بعد أن يلتقي بصديقه "عدنان" يتأمل خيرا في إيجاد أسرته المفقودة ويستمر في البحث عنهم،و"نوري" السائق ينتهي به الحال عاجزا قابعا في أجواء الذكريات التي سجلتها ذاكرته في سنوات حياته المنصرمة،وزوجته "هدية" تظل على وفائها لزوجها،بعد أن ضاقت به الدنيا،أما"مهدي" فيستمر بالهرب من مطارديه دون أن يتخلى عن انتمائه للحزب الشيوعي ،أما بقية الشخصيات فهي تستمر في إتمام مسيرتها في الحياة رغم ما تواجهه من ظروف صعبة.

---

[1] غائب طعمة فرمان: رواية المخاض، ص5-9.

رواية القربان

رواية القربان "لغائب طعمة فرمان" صدرت عام 1975م والتي يقول عنها غائب:" القربان تتحدث عن فكرة معينة هي تلك الجمهرة من الناس التي تصنع التاريخ أو جزؤها غير المنظم...هذا ما في القربان"[1].

إن غائب يصور في هذه الرواية مرحلة ما قبل 1967 من تاريخ العراق في ظل الصراع والنزاع الحاصل على كرسي العالمي.

إن الزمن في هذه الرواية يتسم بازدواجية ،من حيث المزج بين زمن روائي داخلي للأحداث، وزمن آخر هو الزمن الواقعي الذي اقتبست منها الأفكار وهو يمثل مرحلة معينة من مراحل العراق.

أما الأمنكة التي تدور فيها أحداث الرواية، فهي تقع كما هو معروف في بغداد الحبيبة، التي يناشدها غائب في جميع كتاباته الروائية وبالأخص في إحدى محلاتها القديمة.

ملخص الرواية: تبدأأحداث الرواية بداية بسيطة تظهر فيها شخصية "دبش"مالك المقهى، وابنته " مظلومة" تلك الفتاة التي هي اسم على مسمى،تخفي داخلها آثار الألم والمعاناة والاضطهاد والاغتراب نتيجة تصرفات والدها الذي كان يكرهها، فقد حرمت من والدتها وهي صغيرة،إذ لم تحتمل أمها لؤم واضطهاد زوجها، فراحت ضحية لأنانيته، وخلفت ورائها طفلة قنوعة لا ترتجي سوى المعاملة والحنان الأب الضائع، يعطف الناس على مظلومة جراء السوء الذي تتعرض له، في حين لا يبادرها والدها بالعطف ولو لثانية، لا تجد الخلاص إلا بالخضوع لأوامر والدها وتنفيذ طلباته، وكان يعمد إلى تشويه صورة أمها أمامها، إما بشتمها أو شتم والدتها" كانت تصرفات أبيها تبدو لها طفولية رعناء، يذكرها بالقول (الانسان حين يكبر ينقلب طفلا)، ولكن هذا الإلحاح على إدانة أمها،على ذكرها بالشر دائما يملأ قلبها بالمرارة فتشعر بألم وضيق في صدرها وتتغشى غيابها بغشاوة من الدمع"[2].

وما كان يمد مظلومة بأسباب الصبر ويمنحها القدرة على تحمل ذلك الأب، ويرسم في عينيها حياة بألوان الطيف، وهو ذلك الماضي الذي تفقده ،وتهرب من واقعها البائس إليه، وتترك ورائها شقائها وكدرها " ماض يبدو لها كالحلم، كانت ترقص فيه أو تسبح في الهواء

---

[1]- زهير شلبية: غائب طعمة فرمان، دراسة مقارنة في الرواية العراقية، ص235.

[2]- غائب طعمة فرمان: القربان، مطبعة الأديب البغدادية، بغداد، ط1، 1975، ص39.

وفمها مملوءة بالحلاوة، والدنيا صافية في عينيها، عذبة طليقة رقراقه كماء غدير رأته في طفولتها تلك"[1].

كانت تحلم دوما بشيء يأتيها على حين غفلة ويسرقها من حياةأجبرت على عيشها، وما لبث أن تقدم لخطبتها من كانت يوما من الأيام، تذهب معه لمتابعة دروس القران وتجويده وهو " صباح" ذلك الفتى التي تحلم به مظلومة في أن يشعل لها شمعة تضيء بها ظلمة حياتها ويخرجها من القبو الذي تعيش فيه" كانت تتحرك في هذا البيت الكبير باقتدار واندفاع مشبوب حالمة بشيء غير محدد يأتي في حياتها غفلة، وقد وجدته مربوطا بخيط ذهبي بذلك العهد السعيد من حياتها....بطفولتها"[2].

ولعل ما زاد من تعاسة مظلومة ويأسها الدائم، هو رفض والدها "دبش"طلب صباح للزواج من مظلومة، بحيث يرى أن طلب صباح للزواج من ابنته هو بدافع الطمع وليس حبا في مظلومة، ولم يكتف برفض طلبه بل قام بطرده بكل مهانة وقسوة،أمام كل زبائن القهوة، غير أن صباح لم ييأس وظل يحلم مثل مظلومة في أن يتحقق حلمه يوما.

ولبثتأن انتهت معاناة مظلومة، ألا وهي وفاة والدها دبش، وحصولها على جميع ممتلكاته التي طالما حرمت من نعيمها وعطائها، ومن ثمة أتيح لها تعويض ما فاتها بالخروج من البيت رفقة صباح لمشاهدة العالم الذي طالما حلمت به، واقتناء ملابس جديدة لم تعرف عنها شيئا منذ أعياد طفولتها، وقام بمساعدتها ياسر الفتى العامل في القهوة، حيث قام بترميم بعض أركان المنزل وإدخال الضوء إلى تلك الأركان بعد ما كان والدها يمنعها من إشعال فإنوس حتى، وسرعان ماتغيرت الأحوال واستبدل العهد الفارط بعهد الرفاهية" الدنيا حلوة وليتك ترينها بعد المحلة بشارعين ،حدائق وقصور وعصافير والناس رايحة جاية، ولا أحد واقف بطريقهم"[3].

1- غائب طعمة فرمان: القربان، ص20.

2- المصدر نفسه، ص20.

3- المصدر نفسه، ص114.

ومن هنا أخذت مظلومة بهذا المشهد الجديد حتى بدا غريبا عن ما كانت عليه إبان حياة والدها " وتصورت مظلومة أنها في مدينة أخرى غير بغداد، بعدت كثيرا عن حيها وكأنها قطعت سبعة بحور "[1].

أما ياسر وهو أحد شخصيات الرواية ،كان في العاشرة من العمر عند ما جلبه والده إلى مقهى " دبش" ليوظفه عنده، عله يتعلم صنعة تعيله في المستقبل، وما لبث ياسر حتى عمل في ذلك المقهى حتى فوجئ يوما بخبر فاجع وهو وفاة والده، بعدما سقط من على مبنى حيث كان يعمل فيه بناءا، وبعد وفاة الوالد بمدة قصيرة لحقت به الوالدة المسكينة، وهنا أصبح ياسر يتيما في عالم لا يعرف فيه أحدا سوى"دبش"ولا مكان يلجأإليه غير المقهى ويبيت فيه" وبقى ياسر في المقهى لأن أمه لم تستطع أن تعيله، ثم لحقت الأم بزوجها وبقى ياسر وحيدا في الدنيا ،وقنع بنصيبه ،وصارت المقهى بيته ومأواه ومحل عمله"[2].

وهنا عاش ياسر حياته وبداخله شعور يؤرقه وهو شعور باغتراب عن ما حوله وعن عالمه فهو لا ينتمي لهم بصلة " كان لياسر دائما عالمه المنفصل عن الآخرين، وفي ساعة الإفصاح عن النفس يلوذ بالكتمان، ويجعله هذا
الكتمان قاسيا لا يحفل حتى بنفسه"[3].

ولم يعرف ياسر كيف يملأ الهوة التي تتسع بداخله بفعل شعور الاغتراب وعدم التالف والتواؤم مع ما يحيط به، أو ربما نتيجة إخفاق محاولاته للاندماج بواقع ملئ بالسلبيات " انه يحس بفاصل ينمو في نفسه، يفصله عن الآخرين، يجعل أصواتهم ضجيجا وطلباتهم إلحاحا ،وضحكاتهم نباحا"[4].

وهنا قضى ياسر سنوات عديدة من عمره في المقهى، ليفاجئه دبش صحاب المقهى بقرار يتوقع سماعه يوما، بحيثأن دبش يمتلك مقهى آخر مطلا على نهر دجلة ولم يفتحه، وهنا قرر فتحه وصرف كلا من ياسر وعبد الله من العمل، وما لبث دبش حتى فكر في بيع كلا المقهيين والاستراحة من العمل، إلا أنه لم يكن يعلم بأن الدنيا ستريحه على نحو لم

---

[1]– غائب طعمة فرمان: القربان، ص38.
[2]– المصدر نفسه، ص30.
[3]– المصدر نفسه، ص55.
[4]– المصدر نفسه، ص136.

يتوقعه، إلاأن ياسر عرف كيف يتخلص من شرك ذلك الرجل عديم الإنسانية، حيث اتفق ياسر مع المضمد "مختار" الذي كان يحقن دبش بحقن " الأنسولين" على حقنه بدواء يزيل وجوده ،ولكن قبل المضيء في هذه المؤامرة جاء" ملك الموت"لإنهاء رحلة العذاب في ثوان لم يدركها أحد.

وبعد وفاة دبش استلم ياسر إدارة "المقهى "والزورخانة" وهنا قام بإحداث بعض التغييرات والتحسينات ليشعر هو والناس بالفارق الكبير بين إدارة دبش وياسر " أدخلت تحسينات تدريجية على المقهى، أزيلت حبات الماء...وأضيفت ثلاث مصابيح أخرى في زوايا المقهى وزينت الجدران بمرايا وحصر أن ذات رسوم ومناضر خلابة، وصارت المقهى تتألق في الليل وتزهر على المقاهي الأخرى،فكسبت روادا جدد"[1].

ولعل ما فعله ياسر هو مجرد وفاء لصاحب العمل المتوفى،أم مجرد رد فعل اتجاه حياة الحرمان التي عاناها وعاشها مع الآخرين إضافة إلى تعلقه بتلك الفتاة اليتيمة مظلومة التي صارت لا تبارح خياله، وقام بتعمير بيتها محاولا محوأثار المعاناة والكبت القسوة والحرمان " ودخلت الكهرباء بيت دبش لأول مرة، مدت الأسلاك على الحيطان وتدلت المصابيح من السقوف في ظليلات بيض"[2].

وجراء هذه التعديلات التي قام بها ياسر جعلته يشعر بالمسؤولية تجاه مظلومة.

وأراد أن يفرض عليها قيودا حفاظا عليها من أصحاب النفوس الدنيئة التي قد يحيطون بها لكنها لم ترضخ لكلامه لأن أذناها صارتا لا تسمع غير صوت واحد وهو صوت "صياح" شريك الحياة المستقبلي، وتمادى ياسر في سلطته إلى حد أنه قرر فصل عبد الله زميله في العمل، لكنه لم يهضم حقه، فكان يرسل له أجره يوميا، رغم عدم عمله في المقهى، لأنه كان يشعر أنه يشكل خطرا عليه، ولكن وقع ما لم يكن في الحسبان، إذ اغتيل ياسر على أيدي لم تكشف عنها في الرواية، حيث اكتفت بتصوير مقتله بغموض هادئ يتم التعبير عنها في بعض كلمات تساؤليه عن جثته فقط[3].

---

[1]- غائب طعمة فرمان: القربان، ص77-78.

[2]- المصدر نفسه، ص77.

[3]- المصدر نفسه، ص196-197.

وتوجد في الرواية شخصيات تتحرك بحركات صامتة مؤدية أحداثا تتداخل مع أحداث الشخصيات الرئيسية ومن بينهم:

شخصية " هادي" وهو فتى ترك الدراسة، يتمتع بالقوة البدنية ،وبالحضور القوي بين رجال منطقته وهو يعمل في دكان حدادة، ومهنته شاقة على فتى يظهر قوة بدنية وعضلات بارزة. ولكن يمكن خلق تلك القوة مزيج من مشاعر الغربة والوحدة والاضطهاد، ويكافح من أجل التواصل مع ظروف حياته ومع والآخرين" كانت البيوت تدير لها ظهرها، بيوت مكدورة صماء غريبة عليه مثل كل البيوت، لا يحتفظ بذكرى في أي بيت منها"[1].

إن هم هادي الوحيد هو البحث عن السكينة واستقرار النفس في ظلمة الليل فيجد في ساعاته ما يشفى علته ويزيح عنه هموم النهار، وبالأخص تلك التي أحبها وتمنى العيش بقربها وبنيل ودها دوما، فيكون الليل الكأس الذي يسكر به ليتناسى آلامه ومعاناته" لم يكن هادئ من أهل الزقاق، لكنه تربى في زقاق مماثل اتخذه منطلقا لحياة ليلية ممتعا مع عصفورة شاردة في عش ليلي واحد، وقبل أن يطلع صبح أحلامه فرت العصفورة إلى عش آخر، وتركته وحيدا، واستمرت الصدمة وعواقبها زمنا غير معقول، ولما أفاق لم يجد في قلبه غير طعنة الهزيمة وحلاوة ذكرى عابرة، فراح يبحث في الليل عن رائحة هذه الذكرى"[2].

ويبقى هادي حائرا يبحث عن شيء غامض يبدوا له مألوفا، وتستمر غربته ووحدته وانفصاله عن العالم المحيط به، ولكنه يخفي معاناتة وغربته خلف قوى بدنية، أساسها هشيم وأرضها مشاعر هشة تكاد تتكسر على وقع أبسط الكلمات التي يضيف بها صدره أو يتكدر من سماعها، وفي الأخير ظل هادي يهيم، ببحثه عن حبه المفقود.

أما " عبد الله" فهو العامل الثاني الذي كان يعمل في مقهى" دبش"،ومعاناته تكمن في جانبي حياته الاجتماعية والاقتصادية، فهو متزوج وله أولاد، ويسكن مع خالته ،لأنه لا يتحمل نفقات إيجار بيت أخر بسبب الأجر الزهيد الذي يتقاضاه، وزوجته كانت تخوض عراكا مع خالته التي تعاملهم بشيء من الدونية، وتغيرت الأحداث بعد وفاة دبش وطرده من قبل ياسر الذي تولى رئاسة المقهى، ولم يستمر هذا الوضع، خاصة بعد وفاة ياسر على يد مجهول وهنا فقد استلم " عبد الله" إدارة المقهى وأحسن بالسيادة والسلطة التي طالما حلم بها

[1]- غائب طعمة فرمان: القربان، ص144.

[2]- المصدر نفسه، ص144-145.

" في الدقائق الأولى تنفس عبد الله نفسا عميقا كالصعداء وقال لنفسه: الأن:أنا صاحب المقهى..... كفى وحملق في وجه الأشياء سيعاملها بالمثل ويعلو عليها"[1].

إلا أن إدارة عبد الله لم تستمر طويلا ، فسرعان ما انتهى عهده وصار سرابا يطارده، فقد جاء حاكم آخر ومدير جديد ليدير المقهى بطريقته الخاصة، فبادر إلى صرف عبد الله وبل جعله حبيس بيته، فذلك الكرسي الذي تنازعته الأيادي لا يؤتمن غدره، واملاءت من يجلس عليه.

وتنتهي الرواية بنهاية مفتوحة ،دون حل أو حسم لأوضاع بعض أقطابها، إذا بقيت مظلومة تنتظر وتتأمل اللحظة التي تتكئ فيها على كتف صباح بصفتها الزوجة التي يحلم بها صباح، وبقى ياسر تاركا الأثر الكبير الذي خلفه وراءه من تجديدات وتغييرات أضافها على أملاك مظلومة، فيما تبقى هادي يهيم كل ليلة في الطرقات، باحثا عن الحب الذي ضاع منه، أو بالأحرى الذي سرق منه وهو لاه بشقاء حياته وبؤسها، وفيما صار عبد الله حبيس البيت، وصار المقهى لشخص غريب يديره على هواه، وكأنه مال بلا صاحب فلم ينل أي من شخصيات الرواية–الرئسية–مراده الذي كان يحلم في تحقيقه فمنهم من سعى بشتى الوسائل وظل على طريق الاستمرار، ومنهم من كاد يصل وتحول إلى ذكرى مرتبطة باحلم الذي أودى بحياة صاحبه، وهي نهايات موجعة ومصائر غير متوقعة، وبؤس ومعاناة، وظلت الآمال تصد هجمات اليأس في كل محاولة يقوم بها، سواء على أيدي شخصيات الرواية، أم من خلال سياق الأحداث الداخلية للرواية .

ويمكن القول إن هذه الرواية قد تناولت تاريخ العراق السياسي وتعاقب الحكام على إدارة شؤونه من خلال تصوير الصراع الحاصل على كرسي إدارة المقهى ومطامع الحصول على ممتلكات مظلومة.

رواية ظلال على النافذة:

صدرت هذه الرواية في عام 1979[2]وهي الخامسة من حيث ترتيب رواياته المنشورة ويبدو مضمون الرواية وكأنه عمل متمم لأعمال غائب الروائية، ولكن نجد هناك تباين في

---

[1]– غائب طعمة فرمان: القربان، ص107.

[2]– غائب طعمة فرمان: ضلال على النافذة، دار الأدب، بيروت، ط1، 1979.

أجوائها وطبيعة تلك الشخصيات ومعاناتها، وهو نفسه يقر بذلك في إحدى المقابلات الصحفية " في ظلال النافذة وجدت نفسي متلبسا في موضوع غريب علي"[1].

تدور الرواية من حيث الزمان، إلى ما كان عليه المجتمع العراقي في حقبة الستينات من القرن العشرين، حيث تأزمت الأضاع السياسية والاقتصادية، وسوء أحوال المعيشة.

أما من حيث المكان، فإن أحداث الرواية تجري في بغداد، وتحديدا في بعض مناطقها وأحيائها مثل الرصافة، وحي الوشاش.

ملخص الرواية: تدور أحداث الرواية حول أسرة عراقية، مؤلفة من ستة أفراد وهم: الأب "الحاج عبد الواحد" الذي يمتهن النجارة، والأم" رباب" ربة البيت المطيعة، وثلاث أولاد أكبرهم "ماجد" وهو مهندس، والأوسط "فاضل" غير متعلم، ويمتهن مهنة النجارة، وهو متزوج من "حسيبة" فتاة يتيمة، أمية ووحيدة، والأصغر "شامل" طالب في معهد الفنون الجميلة والابنة الوحيدة "فضيلة" فتاة محبة، قابعة طوال اليوم في المطبخ.

يسكن هؤلاء الأفراد في بيت كبير، يقع في حي راق يدعى " الوشاش" إنتقلوا إليه مؤخرا، وبعد أن كانوا يسكنون بيتا عتيقا في أحياء " الرصافة"، وتتعرض العائلة إلى حادث غريب من نوعه إذا تهرب الكنة الوحيدة، زوجة فاضل، بسبب المضايقات والضغوط التي كانت تتعرض لها من بعض أفراد الأسرة، التي لم تستطع تحملها، وبسبب عدم إنجابها الذي صار لغزا محيرا.

" وهذه المشكلة الفريدة العويصة، المدوخة والمندية للجبين، وهي أن زوجة ابنة المتوسط الجاهلة الرعناء، قد خرجت من البيت البارحة..."[2].

وهنا يسعى الأب جاهدا من أجل لملمة تداعيات الحادث، من خلال البحث عن الكنة الهاربة لإيجادها وإرجاعها للبيت، ولا يتوانى من أجل ذلك، عن اللجوء مضطرا إلى حب شبابي قديم كان قد دفنه في قلبه، لفتاة في محلته تدعى نعيمة، كانت تبادله الشعور، ولكن الظروف قد فرقتهما وصار لكل منهما حياته، وبدا له أن نعيمة بما تملك من وسائل قادرة على إيجاد

1- هيئة تحرير مجلة الثقافة الجديدة، البدايات، التكون، الغربة، لقاء مع الروائي غائب طعمة فرمان، ص116.

2- غائب طعمة فرمان: ضلال على النافذة، ص09.

فقيدة الأسرة، وهنا تبدأ رحلة البحث عن "حسيبة"، أما زوجها فاضل يركن إلى الاعتزال والتباعد عن أهله متلمسا السكر، ووسادة زوجته وسيلة تعينه على تحمل فقدانها، أما الأخ الأكبر "ماجد" فتغطى على ذهنه مشاعر الاغتراب والوحدة، رغم وجوده بين أفراد أسرته، والذي ضاعف من معاناته هو الهروب المفاجئ لزوجة أخيه التي كان يشفق عليها ويبرر سلوكها لأنها كانت تذكره بحبه الأول " زهرة"، وهنا وجد نفسه وسط مشكلة لا يعرف جذورها جيدا، وهنا فإن الاغتراب الذي عانى منه ماجد يعد سببا في صعوبة تأقلمه معأهله فضلا عن أجواء البيت الجديد التي يستغربها، ويحن إلى أجواء البيت القديم المليء بالصور وذكريات الطفولة وعفوية الصبا، فهو الفرد الأول ضمن أسرته الحاصل على شهادة "عالية" في الهندسة، ورغم حصوله على هذه الشهادة من خارج العراق، إلا أنه عندما عاد وجد لزما عليه المضيء في البحث عن شيئين وهما: زوجة آخيه، والوظيفة التي يتطلع إليها، وبينما يواصل أخاه "شامل" حياته برتابتها المعهودة، دون التأثر بمتغيرات التي أحدثتها هروب زوجة أخيه، فهو لم يستلطفها أبدا، فهو مع كونه طالبا في معهد الفنون الجميلة، يتميز بطباع تغلب عليها القساوة والأنانية، غير مبال إلا بذاته وبمستقبله ومصيره، أما الأخت " فضيلة" فإنها لا تملك سوى القنوع بحظها العاثر، فهي فتاة شابة قابعة في المنزل يكاد ربيع عمرها يمضي دونأن يزهر بزوج تتشارك معه الحياة، بمنأى عن كل ما يحدث حولها، إلا أنها تستمر في العطاء والتضحية، لا تسبب أية أزمات أو يكاد دورها يقتصر على كونها مجرد شاهد عيان على ما يحدث،أما زوجة الحاج عبد الواحد " رباب" ربة المنزل البسيطة، المحبة لأولادها فإن مع كونها تجمع في ذاتها كل خصائص الأمومة، لكنها تقوم بدور الجلاد لكنتها "حسيبة" فتجلدها بقارص الكلام، والتعليقات القاسية، لحرمنها من الإنجاب.

وفي نهاية المطاف يفلح الأب في العثور على الزوجة الهاربة "حسيبة" ويحاول عبثا، استرضائها وإقناعها بالعودة إلى كنف زوجها، ماتلبث الرواية أن تنتهي برفض الزوجة العودة إلى ذلك البيت الذي عانت فيه الكثير،ولم يعد في وسعهاأن تتحمل منه المزيد " كل إنسان تمر فيه أوقات يريد أن يتخلى فيها عن كل شيء، يهجر كل شيئ، يهرب حتى من جلده"[1]

[1]- غائب طعمة فرمان: ضلال على النافذة، ص12.

" باتت حسيبة مترددة خائفة من مصير لم تتوقعه فهل تعود إلى عذابها ومعاناتها واضطهادها بقدميها، أم ترفض وتعيش متسولة من بيوت والآخرين"[1].

وجعل " غائب" هذه الرواية تنتهي نهاية غير محددة، فلم يظهر ما إذا كانت "حسيبة" قد عادت إلى المنزل أو لم تعد، على الرغم من إقناع الحاج عبد الواحد لحسيبة بالعودة، إلا أنه لم يتخلص من تداعيات ما سببه هروبها من المنزل، وكان حادث هروبها هو مفتاح الباب المفضي إلى عوالم أفراد أسرتها، حيث فتح أبواب الاغتراب وذكريات وحنين، ومعاناة مخفية كانت قابعة في أعماق أفراد عائلة الحاج عبد الواحد، وتكفل الحادث بتحريكها وإظهارها.

رواية آلام السيد معروف

كتب غائب هذه الرواية في عام 1980 وأصدرها عام 1982 وهي أصغر رواية من بين رواياته الثمانية، حيث اقتبس فكرة الرواية وحبكتها من تجاربه الشخصية، وقد اعترف بذلك في لقاء شخصي أجراه مع أحد رفقاء الغربة[2]، منوها بوجود شبه كبير بينه وبين بطل هذه الرواية.

تمتاز هذه الرواية باختلال عنصري الزمان والمكان فيها، مقارنة مع الروايات الأخرى فالأحداث مقتصرة على إنسان فرد دون غيره، وهو يمثل شريحة من شرائح المجتمع العراقي بكل متطلباتها واختياراتها وهفواتها.

أما المكان فيقتصر على ثلاث مواقع دون غيرها وهي: "المؤسسة" مكان عمل البطل معروف و "المقهى" والبيت الذي يسكنه، والأحداث محصورة بهذه الأمكنة الثلاث فقط لا غير.

ملخص الرواية: تدور أحداث الرواية حول شخص معين يدعى " معروف عامر الدواليبي" وهو بطل الرواية الرئيسي، رجل في الأربعين من العمر، وقعت على عاتقه مسؤولية أم عجوز كفيفة وأختين انضمتا إلى عالم العنوسة القسرية " مرهونة ومحبوبة" بعد وفاة رب الأسرة ،يعيش في بيت قديم مؤجر، وإيجاره زهيد نظرا لحالة ذلك البيت.

---

[1]- غائب طعمة فرمان: ضلال على النافذة، ص253

[2]- زهير شلبية: غائب طعمة فرمان، دراسة مقارنة في الرواية العراقية، ص279.

غريب عن واقعه، ومغترب عنه وعن ما فيه، خصوصا المضايقات التي يتعرض لها في عمله هي إحدا الأسباب المؤدية إلى اغترابه عن من حوله، فقد اعتاد على تصويب الأخطاء الإملائية واللغوية في كتب المعاملات الرسمية التيتأتيه ليطبعها، وكان هذا التصرف اللاإرادي يثير اعتراض مدراءه في العمل، الذي يجبرونه على التقيد بتعليماتهم وعدم تصويب ما يحتاج إلى تصويب، وإنما إبقاء الأخطاء كما هي" خمسين مرة، مئة مرة، قلت لك يا سيد معروف لا تغير في الكتب الرسمية،هذا ممنوع قانونيا"[1].

وذلك الاندفاع التلقائي، العفوي لدى السيد " معروف" بحكم تعلمه وثقافته جعله يتراجع ويتقهقر في سلم الترتيب الوظيفي، بعد أن كان أحد أعضاء لجنة النشر، أقصي عن موقعه، وصار مجرد طباع يعمل على أله طابعة عتيقة ' المدعو معروف الدالييي، الموظف في قلم التحرير، والمنسب حاليا لاشتغال ككاتب طابعة، والمرقى مستقبلا أن يكون مجنونا"[2] وحيث تنتهي ساعات العمل يفر هاربا إلى مكان له قدسية خاصة لديه وهو مقهى مطل على نهر الدجلة، يجلس هناك مراقبا الشمس وهي تغرب ويودعها دافنا مع أشعتها ألامه وهمومه" للغروب فتنة لدى السيد معروف لا تعادلها فتنة أخرى في الدنيا كلها"[3].

والواقع أن معاناة السيد معروف لا تقتصر على ما يتلقاه في العمل، وإنما يضاف إليه ما يحيط به في منزله حيث تسبب له الشقاء في حياته الشخصية، وتدفعه إلى أن يندب حظه العاثر، الذي قدر عليه أن يرعى أمه الضريرة معنويا، ويتكفل برعاية طبية مكلفة، في حين أنها لم تفكر في مصير ذلك الفتى في حقه في الزواج وتكون له أسرة" نعم – قسمة ونصيب –أم عجوز وأختان عانستان لا قسمة ونصيب، سنحت الفرصة للصغرى فمنعتها أمي، ركبت رأسها، وقالت لا! ومرهونة تبقى عازبة، لم تقل ومعروف يبقى عازبا بل قالت وأختك الكبيرة تبقى عازبة؟.... أهلا وسهلا ليغمرنا الغروب بأشعته الحنون"[4]

وتنتهي الرواية نهاية فاترة، كبدايتها فلم تشكل الأحداث أية تفاعلات داخلية، فالسيد معروف ظل غارقا في دوامة اغترابه، يخيم عليه شعور باضطهاد الفكري والثقافي، رافضا

[1]– غائب طعمة فرمان: آلام السيد معروف، دار الفارابي، بيروت، ط1، 1982، ص32.

[2] – المصدر نفسه، ص28.

[3]–المصدر نفسه، ص07.

[4]– المصدر نفسه، ص25.

لواقعها الاجتماعي والسياسي، عاجزا عن إحداث تغيير في واقعه، معانيا صعوبة في مواكبته، متخذا من القناعة وسيلة للاستمرار، ومن الغروب ذريعة للهروب، يترقب من خلاله شيئا مفقودا في حياته، يأمل في حصوله، يدفعه للحنين للماضي.

وتبقى الوالدة العجوز، والأختان العانستان على حالهن، يترقبن منتظرات الغد الذي لا يظهر لهن نواياه.

وهكذا تختم الرواية خاتمة منفرجة الأضلع، على شاكلة رواياته الأخرى السابقة، دون حل أو علاج لمحنة السيد معروف أو أختيه، أو أمه، ودون ظهور أية بادرة بأن يتخذ السيد معروف موقفا إيجابيا تجاه ما يعانيه سواء في المؤسسة أو البيت، أو في مجمل حياته العامة.

رواية المرتجى والمؤجل

صدرت هذه الرواية في عام 1986م، وهي الوحيدة من بين الروايات الثمانية التي تناولت موضوع الغربة والاغتراب لدى شخصيات عراقية تعيش، ليس في أرض الوطن، وإنما في بلاد أجنبية وبالضبط في الإتحاد السوفياتي سابقا.

يقول غائب في إحدى مقابلاته الصحفية عن هذه الرواية " ... لم أصنع لنفسي مهمة كتابة رواية عن الغربة والمغتربين، بل أردت أن أثير أحاسيس تجاه مغتربين، وحالات اغتراب، لأنني اعتقد أن لكل إنسان غربته الخاصة، أو مهمة الخاصة للغربة.."[1] وكأنه أراد أن يجعل من ذكريات والآخرين حافزا أو مثيرا لإحياء ما قبع في أعماقه البعيدة من ذكريات هاجعة " أردت أن ألمس بعض مواطن معينة من الغربة لكي تثير في الإنسان أحاسيس تجعله يلجأإلى إحساسه الشخصي بالغربة"[2].

إن المكان الذي تجري فيه أحداث الرواية هو الإتحاد السوفياتي، وتحديدا في مدينة "موسكو" وأما الزمان، فلم يشأ غائب أن يحدده بشكل واضح وصريح، ولكن نستنتج من سياق الحوار أن أحداث الرواية ووقائعها تجري بين عامي 1957-1977.

ملخص الرواية: إن موضوع الرواية هو رصد ما يمكن أن يعتمل في دخائل بضعة شخصيات تعيش بعيدة عن وطنها، من معاناة الغربة والاغتراب، وأول تلك الشخصيات التي

[1]- هيئة تحرير مجلة الثقافة الجديدة، البادات، التكون، الغربة، لقاء مع الروائي غائب طعمة فرمان، ص117.

[2]- رحمان خيضر عباس: نزيف الذاكرة في المرتجى والمؤجل، مجلة المنار، العدد 11، 12، السويد، ص29.

عانت من الغربة هو: "ثابت حسين" مثقف، متعلم، مناضل، وسياسي سابق، لجأ للغربة بحثا عن علاج لابنه حسان الذي تعرض لحادث دهس في بغداد، أدت لفقدان ذاكرته، وعجزت محاولة الأطباء العراقيين عن التخفيف من الضرر الحاصل لتلك الذاكرة، فجاء إلى موسكو يلتمس الشفاء إلى ابنه وقد أشرف عليه البروفيسور السوفيتي " كوزين"، الذي نصح الأب بأن يقص أو يسرد لابنه أقاصيص أو حكايات توقظ ذاكرته، خلال جلسات يومية منظمة، أشبه بجلسات التحليل النفسي " اعد له الشوق إلى الحياة، دعه يأمل لتحرك فكرة وذاكرة ليكونا مملوئين لا بالكبائر فقط، بل بالصغائر أيضا"[1] وهنا يقوم الاب بسرد حكاية عن أناس عراقيين مغتربين " أحدثك يا حسان عن أناس من بلادك، رحلوا طلبا للعلم أو للرزق أو هروبا من ظروف قاسية، وقالوا ماهي إلا أعوام ونعود".

موفوري الصحة والعلم، ولكن الغربة استطالت فراحوا ينسجون على منوالها قصصا وحكايات واقعين بين حبائل الانتظار "[2].

وعندما كان الابن مجرد مستمع سلبي لقصص وحكايات متتابعة، وفي الأخير تبدر بادرة إيجابية منه، حيث يسأل أباه عن المأكولات المحببة التي بعثتها أمه له من العراق، ليعقب على ذلك بسؤال أعمق دلالة " وماذا كتبت أمي بعد"[3] وهنا كان الأب يمضي في السرد، فيقص له حكاية عن " عباس الغزال"[4] ثم حكاية آخرى عن لعب ابنه العابث مع أصدقائه في بغداد[5]، وبعد هاتين الحكايتين ينطق الابن لأول مرة بإسم صبي من محلتهم في بغداد، فيتهلل وجه الأب ملتمسا من ابنه قول المزيد" قل كل ما ترد في خاطرك....أعد لنفسك كل حياتك السابقة"[6] وعندئذ يشرع الابن بسرد حكايتين" عن الحيوانات لا على الناس"[7] وهنا يتحول الراوي إلى مستمع والمستمع إلى راوي، وبعد هذا التحسن يقرر الأب العودة إلى العراق بعدما تماثل ابنه إلى الشفاء.

---

[1]- غائب طعمة فرمان: المرتجى والمؤجل،دار الفارابي، بيروت،ط1، 1986، ص86.
[2]- المصدر نفسه، ص07.
[3]- المصدر نفسه، ص59.
[4]-المصدر نفسه، ص60-61 .
[5]-المصدر نفسه، ص65-66.
[6]- المصدر نفسه، ص67.
[7]- المصدر نفسه ، ص67.

أما الشخصيات الأخرى فنذكر منها " يحي سليم" المترجم الذي يمارس عملا رتيبا مملا، مغتربأكمل دراسته واضطر للبقاء في بلد الغربة، بعد أن أوصدت جميع الأبواب له بالرجوع إلى أرض الوطن ،فقدر له أن يعاني الاغتراب في غربته، وهذه الغربة التي جعلته يفقد الوطن، افتقدته أيضا حق الأبوة، فهو متزوج وأنجب ابنا، غير أن علاقته بزوجته ما لبثت أن انتهت، وأبعدت الابن عنه، ليس جسديا ،وإنما عمدت إلى انتزاع الأب من ذاكرة الابن، حتى أنهما عندما يلتقيانأحيانا ينادي الابن أباه "عمو" ويحار يحيي كيف يتصرف إزاء هذه الإشكالية الغريبة، ثم لا يلبث أن يقتنع أنه عاجز عن أن يفعل شيئا إزاء ذاكرة ابنه المعطوبة " قل لي ثابت أيهما أهون على الإنسان، أن يكون له ابن معطوب، أم أن يكون له ابن بعيد لا يعرف أنه أبوه ويسميه عمو"[1] وفي خضم مشاعر الاغتراب التي تجتاحه وتؤرقه، لا تجد ملاذا يسكن من روعه، ويخفق من وطأة إحساسه بالضياع سوى الخمرة، وهنا يتسنى له إطلاق العنان لذاته لكي تفصح عن ما تعانيه من عذابات الغربة.

أما بقية الشخصيات في الرواية، فإنها تمثل شخصيات مغتربة، متضائلة، هامشية محبطة، ومن بينها شخصية "علوان شاكر" طالب الدراسات العليا، مثقف، إلا أن شخصيته غير متزنة ،يصارع غربته من خلال نزوات منفلتة، يستجيب لها برعونة وطيش، مشبعا خواء نفسه بملذات محرمة مع نساء كان على علاقة بهن، خارقا كل حواجز العرف والتقاليد، لكن على بغتة تفاجئه زوجته القادمة من العراق لزيارته وملاقاته مع إمرأة أخرى، فتثور ثائرتها وتقرر أن تثأرت منه بفعل مماثل، فتصطحب معها شابا روسيا إلى الشقة ذاتها، فيقوم "علوان "بطرد الشاب، ويتجادل مع زوجته بشدة، الواقع أن علوان بردة الفعل هذه يكشف أنه مدرك تماما للأعراف والتقاليد التي تنشأ وترعرع عليها، في وطنه إلا أن الغربة جعلته يتفادها، وفي الأخير تتوصل زوجة "علوان" إلى قاعدة يخضع لها المغتربون – بحسب منظورها– معللة فعلة زوجها المشينة " كل الذين يذهبون إلى الخارج يتخلون عن تقاليديهم، يخونون ......"[2].

بقى علوان يعاني من اغتراب سياسي، وشعور بالضياع والقلق إزاء مستقبل يخشى علوان خوضه، فهو هيأمل في نهاية لغربته ولكن هذه النهاية تبدوا له أمنية صعبة التحقيق "

---

[1]– غائب طعمة فرمان: المرتجى والمؤجل ، ص136.

[2]– المصدر نفسه، ص57.

منذ الأن وقبل أن أخذ الشهادة أشعر بالقلق إذا تخرجت هل سيحتضنني العراق،أم أفتش عن بلد أقل قسوة"[1].

أما "صالح جميل" هو تلميذ في المعهد يتقن عدة لغات أجنبية، محادثة وكتابة، إلا أنه لم يستفد من هذا ولم يوظفه من أجل إنهاء دراسته والتخرج، إذا انتقل بين ستة معاهد في خمس دول في العالم ،ولم يجد من الشجاعة ما تكفيه ليستقر ويكمل دراسته، دون انتقال ومبارحة مقعد دراسي إلى آخر يلاقي ذات المصير، وهذا الانتقال بين المدارس كان وسيلة يطيل بها مكوثه في أرض الغربة ،وهذه السلبية لم تتحول إلى إيجابية رغم زيارته لأرض الوطن.

أما" مظهر" فهو رسام عراقي مغترب، إنتهى به المطاف في غربة بعيدة، إلا أن مهنته كانت قادرة على مسايرة الغربة، فهو يلجأإلى مرسمه- العالم الخاص به -والذي لا يضاهيه عالم آخر" كان المرسم غرفة مربعة الشكل، تغطي اللوحات جدارين منها، وفي الضلع الآخر مخدع فيه سرير لوحات تسودها الألوان الباردة : الرمادي.... والأخضر الشاحب، والأزرق الكدر"[2]، وهذه اللوحات معلقة موضوعها اليأس والإحباط، ألوانها تكشف عن نفسية رسامها، فتلك اللوحات هي البئر الذي يلقى فيها أحجار رتابة حياته واغترابه عنها.

أما حازم هو الآخر عراقي مغترب، اتخذ من الغربة وسيلة للتجارة وكسب الرزق كما سعى إلى التأقلم التام مع منفاه وتأجيل العودة إلى الوطن، كلما حانت فرصتها وكان نتيجة التأقلم استبدال الغربة بأخرى بحثا عن بيئة اغترابيه ملائمة لممارسة الكسب غير مشروع.

ويختار غائب نهاية للرواية بحسب ما تؤول إليه حال شخصياتها الرئيسية " فثابت حسن" يقرر العودة إلى أرض الوطن بعد تماثل ابنه للشفاء" ويحي سليم" فيبقى على حاله يمارس مهنته مواجها اغترابه بالسكر وأما " علوان شاكر" فيبقى هائما في حومة السكر والعربدة و"صالح جميل" يستمر في ترحاله ليجهله بمصيره بعد التخرج، أو ينتظر الفرصة المناسبة التي تحثه على النجاح، و"مظهر" يقبع في أجوائه المليئة بلوحات تحمل طابعا سوداويا تعكس ما يعتمل في ذات صاحبها، و"حازم" يستمر في تأجيل العودة، ويرتجي فرصة مكسب عالي الربح غير مبال بمشروعية أو عدم مشروعيته.

1- غائب طعمة فرمان: المرتجى والمؤجل ، ص168.

2- المصدر نفسه ، ص82.

وهنا نلاحظأن سلوك تلك الشخصيات، أنها ترتجي تحقيق الظروف والأوضاع التي تمكنها من العودة ،ولكن هذا الشرط يضل مؤجلا، وبالتالي في غربتها واغترابها إلا شخصية "ثابت حسين" الذي رجع إلى الوطن بعد أن أفاق حنينه إلى وطنه من غربته.

رواية المركب:

كتبت هذه الرواية في أواخر عام 1978 إلا أنها صدرت في عام " 1989"، وأراد غائب أن يسمي هذه الرواية ب" رحلة إلى أم الخنازير" إلا أن هذه التسمية لاقت رفض الناشر وغير العنوان وأصبحت بعنوان المركب.

إن زمان هذه الرواية يتخذ منحنيين:أولهما لا يظهر على العلن لأنها تكمن في نفوس الشخصيات ومشاعرها، والثاني يظهر عند تنامي الأحداث وتفاعل الشخصيات مع بعضها.

أما المكان فإنه يتوزع على مواقع عديدة إلا أنها تقع دوما في بغداد وما فيها من أمكنة

تدور أحداث الرواية حول رحلة ترفيهية تقوم بها إحدى المؤسسات لموظفيها، وأول شخصيات هذه الرواية هو رائد شاب مثقف يعمل في المؤسسة رئيسا لقسم الإعلام، مغترب لا يبالي باغترابه يشارك رائد السكن مع عائلة مسيحية، تشغل الطابق الأول للبيت، فيما يشغل هو الطابق الثاني " وصعد إلى الطابق الثاني، قابلها سطح واسع في أخره، حجرتان، وعلى اليمين ممر ضيق مسيج....مرا بفراغ وحجرة، ثم آخرى هي حجرة رائد"[1].

إن رائد يعاني من الوحدة، لأنه لا يملك في بغداد سوى صداقات حديثة العهد، فلا أهل ولا أقارب لأنه نزح إلى بغداد قادما من الشمال، وكثيرا ما يشعر بأنه بلا مسكن، فحين تظهر أطياف من مسقط رأسه يدرك حقيقة مأواه " وتبرز محطات الماضي تذيع أخباره....مسار على غير هدى الجميع سيأوون إلى بيوتهم، وهو لا يمتلك بيته الحقيقي، بعده النفسي"[2] وهنا يهرب للسكر ليداوي جرحه، وليس هذا ما يجعل رائد شبه متمرد، وإنما يأسه من الواقع السياسي أيضا " بغداد التي تعودت على مذلة المغول وحكم السلاطين، عثمانيين وغيرهم، ومع ذلك فهي تبخل على أبناء قطرها فلا تشملهم بالرعاية"[3].

---

[1]- غائب طعمة فرمان: المركب، دار الاداب، ط1، 1989، ص91.

[2]- المصدر نفسه، ص27.

[3]- المصدر نفسه، ص 93.

أما "خليل" فهو فنان يعشق الرسم، فهو مكلف برسم إعلان متعلق بعمل المؤسسة، يمتلك بيتا صغيرا وغرفة جعلها من عالمه الخاص حيث يضع فيها لوحاته، وتشاركه في المنزل فتاة ريفية إسمها " حسنة" تعرف عليها في صباه، حيث كانت تقوم برعاية والده المريض قبيل وفاته، وخلال ذلك تعلق أحدهما بالأخر فهجرت ماضيها بأهله وريفه وذكرياته، وصارت خليلته، وبعد مدة صار خليل يشعر بأنه عرضة للاغتراب والوحدة وهذا لفارق السن والمستوى الثقافي " أنت شبابي المقبور. وإرتفعت العبرة في صدره، فتركها لا أظنها ستفهم ما أقوله، نفثاتي ضائعة واستغاثتي ستحطم على جدران أذن صماء، تجلدا بالصبر"[1].

وهنا خليل يشعر باغتراب ومرده إلى سببين وهما:

1) علاقته بحسنة فقد أعطته كل ما لديها، لم يجد في عطائها مبتغاه لأنه عاجز عن التواصل معها

2) ترك فنه وموهبته تتحول إلى صنعة تتحكم بها أهواء من يدفع الثمن، فهو يرسم وفق ما يرى الآخرون وليس هو، فيعدل الوجوه وجعل العينين أوسع والأنف أصغر.

وأما "عصام" يعمل مهندسا في المؤسسة المعهودة، حصل على شهادته من جامعة إنجليزية دفع ثمنها بما لا يقدر بثمن، وذلك عندما قرر السفر إلى أوربا لإنهاء دراسته طلق زوجته وترك ورائه طفلا يهذي بأبوة طبيعية هجرته بحثا عن مآربها الشخصية، ولكن القدر لم يفلت عصام بدون عقاب هو أن السياسيين لم يوظفوا الحائزين على شهادات من الخارج، وهنا يسيطر عليه خليط من مشاعر الاغتراب وتأنيب الضمير " خفت من تحمل مسؤولية ابني وها أناأخاف من تحمل مسؤولية نفسي، أعطى قيادتي للأخرين...وألقي اللوم على غيري"[2].

و"شهاب" هو أحد أقطاب الرواية، شاب متعلم، خريج كلية التجارة صديق عصام منذ الطفولة، يتميز بكونه منافس جيد للفرص التي تأتيه، باعتباره يطبق معادلة أبيه في الحياة " الدنيا مصالح" " فكان يقول لنفسه الدنيا قشمرة، أنا أقشمرك وأنت بدورك تقشمري، والقشمرة

1- غائب طعمة فرمان: المركب ، ص75.

2- المصدر نفسه، ص 58.

هي العملة السائدة بين الناس"[1] وهو قام بإخبار أصدقائه عن الموعد الكاذب لرحلة المركب وذلك لتحقيق بعض مطامعه الشخصية.

أما شخصية " الشيخ نعمة" فهو أحدأعضاء الشلة التي فاتها موعد المركب، كان أبوه يشتغل مصلح خطوط تلفونات في دائرة البريد[2]، وعندما عكف أبوه عن هذه الخدمة، انتزع ابنه من المدرسة وجعله يعمل في سوق الخياطين وبعدها عامل في البناء، ثم انتهى به المطاف موظفا بسيطا في أقسام بالمؤسسة، حيث يتابع توثيق الإعلانات التي تنشرها المؤسسة في الجرائد[3]، وتكمن معاناته في شعوره بالغبن الذي لحقه ولحق أباه، من جانب الحكومات التي تعاقبت على إدارة شؤون الدولة العراقية وعلى الرغم من السنوات التي أمضاها في الخدمة إلا أنه لم يقدم له ضمان يكفل له حياته، وهنا تكون الدولة قد غبنته.

وبعدما تعرفنا على مسار هذه الشخصيات نذكر أن الرحلة التي كانت مقررة لم تتم لأن شهاب أوهم رفاقه بتوقيت غير محدد، وذلك لينفرد مع المدير لعقد صفقات خاصة به إذ أن البقية مثل " رائد–عصام–خليل–الشيخ نعمة" يلجؤون إلى تدارك يأسهم وغضبهم بكؤوس شراب، وعندما يأتي إليهم شهاب حاملا معه زجاجة الشراب ليعتذر من الأربعة، ويخبرهم خبرا يهز الأبدن وهو تعرض زميلتهم في العمل إلى حادث اغتصاب، ويقلب هذا الخبر المؤسسة رأسا على عقب، وهنا تتناقل الأخبار دون معرفة المصدر الرئيسي للإشاعة، وهنا تحتدم الأمور ولكن عندما تسمع الموظفة المعنية بالأمر ترفض وتنكر الخبر وتصحح ما أخطأ الآخرون، ومن كان مكلفا بالإشاعة يتم اغتياله فهو أحد " السعاة" في المؤسسة، حيث قتل على يد مجهول، وهنا تستمر بقية الشخصيات في أداء أدوارها حيث تكون نهاية الرواية بوفاة الشيخ نعمة، وخليل يستمر في الاندماج مع واقعة الحال من خلال الشراب وميزات فقيرة، ورائد يطمئن لعدم وجوده ضمن المعفيين من الخدمة في المؤسسة، و"شهاب" يفشل في إتمام صفقته، ويحل عقدته بالزواج، وبعدما كان يعاني من المرض، "وعصام" فيتناسى انفصاله عن زوجته ويتعرف على ممرضة وتمتد حبال الود إليها، ومن الجانب

---

[1]- غائب طعمة فرمان: المركب ، ص201

[2]- المصدر نفسه، ص188-189.

[3]- المصدر نفسه، ص 39-40-41.

المهني فينتقل إلى وظيفة جيدة بعدما انتقل المدير الأول فجاء محله مدير تخرج من نفس جامعة عصام.

الخاتمة

الخاتمــــة

لقد حاولت في بحثي هذا، دراسة مظاهر الغربة والاغتراب في روايات الأديب العراقي " غائب طمعة فرمان"وقد اقتضى ذلك تحديد دلالات مفهومي الغربة والاغتراب، وهنا يمكن حوصلة أهم النتائج المتحصل عليها في هذا البحث فيما يلي:

أولاً: تقمص مصطلح الغربة والاغتراب دلالات عدة تطورت بتطور الزمن واختلفت باختلاف الثقافات، ولكن تم الاتفاق أن الغربة تقتصر على مغادرة المكان إلى مكان آخر، أما الاغتراب فهو متعدد الدلالات بحيث تتداخل فيه جميع الظروف المحيطة بالفرد سواء النفسية، التي تعود في الأساس إلى الكيفية التي نشأ بها الفرد أو الثقافية والحضارية والمتمثلة في جملة من العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

ثانياً: إن تجربة" غائب" خلال مدة مكوثه في العراق كانت مدة قلقة يسودها عدم الاستقرار الاجتماعي والسياسي للمجتمع العراقي عامة، وقد كون غائب حصيلته الثقافية نتيجة مطالعته للأدب العربي، بشقيه الشعري والنثري القديم والحديث، والأدب الغربي كذلك.

وقد تزامن مع مرحلة تكوينه الثقافي اندلاع الحرب العالمية الثانية، وكان لهذا تأثير على سياسة العراق وأوضاعه القائمة وذلك لخضوعه لسيطرة الإنجليز وصارت تلك الحرب ومجرياتها الشغل الشاغل للمثقفين والمتابعين العراقيين ومن بينهم وعلى وجه الخصوص"غائب" وهذا ما جعله يواكب التطورات السياسية والتاريخية في تلك المرحلة.

ثالثاً: تأثر بالعديد من المذاهب والاتجاهات الفكرية والسياسية التي نشأت وازدهرت في أوربا وانتقلت إلى منطقة الشرق الأوسط لتؤثر على المجتمع العربي في مصر والعراق وليس"غائب"فقط الذي عكس ذلك التأثير في نتاجا ته الكتابية وكانت الصحافة المصرية التي عمل فيها أثناء دراسته في جامعة القاهرة إحدى وسائل النقل لتلك الحركات والاتجاهات، وكما تعد الوسيلة الرئيسية التي اعتمد عليها"غائب" وكانت عينه التي يرى بها العالم من حوله، خلال عمله سواء في الصحف والمجلات المصرية أو في"جريدة الأهالي"، وبعد عودته للعراق، ما لبثت الأوضاع السياسية إن تأزمت كثيرا في العراق لدرجة صدور قرار بإغلاق بعض الصحف والجرائد، ومن ضمنها الجريدة التي يعمل بها"غائب"، وهذا ما إضطره للبحث عن فرصة عمل أخرى أو وظيفة جديدة خارج العراق

بعد أن تعذر عليه إيجادها ،وقد تعددت محطاته، والتي شملت سوريا ولبنان ورومانيا والنمسا وألمانيا ومصر والصين، ثم العودة بعد"ثورة 14تموز 1958"إلى العراق، وفي كل محطة لبث مدة وانتقل إلى أخرى عساه يجد فرصة أفضل منها، حتى إستقر به المقام في الاتحاد السوفياتي "موسكو".

رابعاً: وخلال إقامته في موسكو، إكتوى غائب بنيران الغربة وذاق مرارة الفراق والإبتعاد عن الأهل والأحبة، فلم يجد مفرا غير التنفيس عن ذلك من خلال كتابات تجلب له من شذى الوطن وعبقه ما يبقيه على تواصل معه، ويتغلب على محنته ومعاناته من غربة مكانية والإغتراب بأشكاله، وكانت تلك التجربة القاسية فرصة لتحقيق نجاح أدبي لم يكن غائب يحلم في الحصول عليه، فنسج من ذكرياته عن الوطن وما عرفه فيه من شخصيات"أهل–أقارب–معارف–أصدقاء" وأزقة وبيوت، ومعالم مدينته الحبيبة بغداد قصصا وحكايات روائية تمنحه التواصل الذي كان يحتاجه في غربته، وجاعلا من أزمته ومعاناته تجربة إيجابية، رغم كل السلبيات التي تتخللها، فكانت روايات غائب الثمانية تعبيرا واقعيا عن ما عاناه وقاساه من صعوبة في التآلف مع بيئته الجديدة وخاصة مع التغيير الإجتماعي وما فيه من عادات وتقاليد وأعراف غريبة.

خامسا: التوجس الذي لازمه من السلطة الحاكمة في العراق، وفي كل العهود، إلا أن ذلك لم يستأصل من قلبه التعلق أكثر بوطنه العراق، وخاصة بغداد بمحلاتها وأزقتها وشوارعها، وكلما طال به الوقت في الغربة زاد حبه وشغفه بها، والدليل هو أن رواياته الثمان لم تخل من أوصاف مدينة بغداد حبيبته الدفينة في قلبه.

سادساً:إشتملت تلك المؤلفات الروائية على شخصيات روائية، وهي غائب في باطنها وشخصيات روائية في ظاهرها، وعكست مشاعر مؤلفها وما إعتراه بكل صدق وواقعية.

سابعاً:إن كثرة السفر والترحال، أو لرحلة التشرد التي عانى منها غائب، وتوقه الشديد للوطن وما فيه، دور كبير في تحفيز ذاكرته، وطرح خزين ذكرياته الذي وفرت له شعورا بالتواصل مع الوطن الذي لا يفارق خياله.

ثامناً: ويمكن القول، على الرغم من الأفق الواسع الذي تميز به غائب وثقافته العالية، إلا أنه عرف دوما بالتواضع والبساطة، فضلا عن أنه رغم اعترافه بتعاطفه مع الفكر الماركيسي، إلا أنه لم يفصح بشكل صريح عن انتمائه الفعلي لأي حزب سياسي.

تاسعا: من خلال دراسة رواياته وتحليلها، تبين لي أن غائب طعمة فرمان، روائي عراقي رائد، أصيل، يسري حب العراق في عروقه، فقد ولد عراقيا، وعاش حتى في غربته الطويلة عراقيا، ولم يحقق غائب أمنيته الوحيدة وهي العودة إلى أرض الوطن العراق، لتحتضن تربة الغربة جثمانه.

عاشراً: إن روايات غائب طعمة فرمان، وما تخللها من دلالات الغربة والاغتراب، سواء في سلوك الشخصيات أم في الحوار الوارد على ألسنتها، أو من خلال السرد العام للرواية، يتبين لنا ماهية وطبيعة المعاناة التي جاشت في نفس غائب، والتي حاول عكسها أو إبرازها في رواياته، الأمر الذي اكسب بعض رواياته أجواء فنية خاصة وتشويقا مميزا، ويتجلى في تصادم المصالح الشخصية بمواقف السلطة واجرائتها الهادفة إلى التحكم بمصائر الشخصيات، ولا فرار من سطوتها سواء شاءت أم أبت.

- وإذا أمعنا النظر في سلوك ومواقف كل شخصية ووقفنا عندها سنلاحظ أن لكل شخصية نوعا اغترابيا محددا عانت منه، شأنها شأن مؤلفها، وهنا سأحاول الإشارة إلى نوع الاغتراب الذي تجلى لدى كل شخصية من تلك الشخصيات.

1- الغربة المكانية: ويلاحظ أنها تتميز بالحضور في سائر روايات غائب، وقد تجلى في سلوك كل من"سليمه الخبازة"و"تماضر"و"مرهون السايس"و"رديفة" و"خيرية"و"مصطفى الدلال" في رواية النخلة والجيران.

- أما في رواية"خمسة أصوات": فتجلى في سلوك"سعيد"و"شريف"، وفي المخاض تجلى في سلوك"كريم"، وفي القربان في سلوك"ياسر" وفي ظلال على النافذة تجلى في سلوك"ماجد وحسيبة وعبد الواحد" وإذا كان لدى هذا الأخير مؤقتا، وفي آلام السيد معروف تجلى الإغتراب المكاني في سلوك"معروف الدواليبي" وفي المرتجى والمؤجل في سلوك"يحي سليم"و" علوان شاكر"، أما في رواية المركب فتجلى في سلوك "رائد".

الحادي عشر: الإغتراب النفسي:ونلاحظ أنه كان له أثر واضح على شخصيات غائب ويظهر بوضوح في سلوك"سليمة الخبازة وتماضر وموهون السايس ورديفة وحمادي وخيرية" في رواية النخلة والجيران، وفي سلوك "سعيد وعبد الخالق وشريف وحميد" في رواية خمسة أصوات، وفي سلوك" كريم وهدية زوجة السائق نوري"في رواية المخاض

أما في رواية ظلال على النافذة فتتجلى في سلوك" ماجد وفاضل وحسيبة وشامل وفضيلة وعبد الواحد"، وفي رواية القربان في سلوك" ياسر ومظلومة والمعلم المتقاعد علي وهادي، أما رواية آلام السيد معروف تتجلى في سلوك بطل الرواية" معروف عامر الدواليبي"، وفي المرتجى والمؤجل فتجلى في سلوك سائر الشخصيات التي تطرقت إليها، ماعدا واحد منهم وهو "ثابت حسين"الذي يعاني اغترابا مؤقتا، أما في المركب فيتجلى في سلوك" خليل الرسام و رائد وعصام وشهاب"

الثاني عشر: الاغتراب الاجتماعي: ويلاحظ أنه متواجد نسبيا ويظهر في تفاعل الشخصيات مع أحداث الرواية، ففي رواية النخلة والجيران تتجلى في سلوك "حسين ومرهون السايس وخيرية وسليمة"، وفي آلام السيد معروف تتجلى في بعض ردود أفعال البطل" معروف عامر الدواليبي"

الثالث عشر: الاغتراب السياسي: وهو نوع من الاغتراب الدائم الحضور في ثنايا روايات غائب، وظهر بشكل صريح في سياق حوارات الشخصيات التي تطرقت لها في رواية خمس أصوات، وكذلك لدى "كريم ونوري السائق" في رواية المخاض، ولدى" ماجد وعبد الواحد" في رواية ظلال على النافذة، ولدى" صالح جميل وعلوان شاكر وثابت حسين" في رواية المرتجى والمؤجل،ولدى" عصام والشيخ نعمة" في رواية المركب.

الرابع عشر: الإغتراب الزماني: وهو بمثابة عنصر حيوي لم يكن بوسع غائب الاستغناء عنه في رواياته، لكنه لا يظهر بشكل مباشر صريح، وإنما يظهر من خلال إسترجاع الشخصيات لذكرياتها الماضية والحنين لزمن مضى، والنفور من زمن راهن عصيب ومؤرق بكل ما فيه، وانعكس ذلك في رد فعل" سليمة الخبازة وتماضر" في رواية النخلة والجيران، ولدى شخصيات رواية خمس أصوات خلال لحظات التذكر واسترجاع الماضي، ولدى" كريم ونوري السائق" في المخاض، ولدى" مظلومة وياسر وعلي" في ظلال على النافذة، ولدى" معروف الدواليبي" في آلام السيد معروف، ولدى" ثابت حسين" في المرتجى والمؤجل، ولدى كل من" عصام وخليل" في رواية المركب.

الخامس عشر: الاغتراب الفكري والثقافي: ويلاحظ أن ظهوره كان بارزا على وجه الخصوص في الروايات التي احتوت على شخصيات مثقفة مضطهدة ومحبطة، والتي لم يتركها غائب دون أن ينوه أو يلفت الانتباه لشيوعها في الوسط المثقف، وهنا اقتصر

ظهورها على روايات محددة ومنها شخصية" إبراهيم وسعيد" في خمسة أصوات، ولدى معروف الدواليبي في آلام السيد معروف، ولدى بعض شخصيات في حوارات غير صريحة في المرتجى والمؤجل، ولدى"رائد وعصام وخليل" في رواية المركب.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- **القـــرآن الكريـــم**
- **المصادر:**

- غائب طمعة فرمان.

1- آلام السيد معروف، دار الفارابي، بيروت، لبنان،ط1، 1982.

2- خمسة أصوات، دار المدى، بغداد، العراق، ط2، 2008.

3- ظلال على النافذة، دار الآداب، بيروت، لبنان، 1979.

4- القربان، مطبعة الأديب البغدادية، بغداد، العراق، ط1، 1975.

5- المخاض، مطبعة الحرية، بيروت، لبنان، 1974.

6- المرتجى والمؤجل، دار الفارابي، بيروت، لبنان،ط1، 1982.

7- المركب، دار الآداب، بيروت، لبنان،ط1 ،1989.

8- النخلة والجيران، دار المدى، بغداد، العراق، ط2، 2009.

9- ابن باجة، رسائل ابن باجة الالهية، بيروت، لبنان.

10- بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة بيروت، لبنان، 1983.

11- الزمخشري،أساس البلاغة، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ج2

12- عبد الرحمان بدوي، رابعة العدوية، شهيدة العشق الإلهي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1962.

13- محمد ناصر الدين الألباني، ضعيف الجامع، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة، الاسكندرية، ج2.

14- إبن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط6، 2006،ج11.

- **الكتب المترجمة**

1- ابن باجة، تدبير المتوحد، تحقيق ماجد فخري، بيروت، لبنان، 1968.

2- الجاحظ، كتاب العين، تحقيق يحي الشامي، مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط3، 1990.

3- الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، تحيق أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، ج1.

4- الجاحظ، كتاب الحيوان، تحقيق يحى الشامي، مكتبة الهلال، بيروت، ط3، 1990.

5- أبو الحيان التوحيدي، الإشارات الالهية، تحقيق عبد الرحمن بدوي، دار العلم، لبنان، بيروت، ط1، 1981.

6- ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، 1972، ج5.

7- ريتشارد شاخت، الإغتراب، ترجمة كامل يوسف حسن، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط1، 1980.

8- زهير بن أبي سلمى، الديوان، اعتنى به وشرحه حمدو طماس ، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2005.

9- الشافعي، الديوان، اعتنى به وشرحه عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2005.

10- صالح الشرنوبي، الديوان، جمع وتقديم، علي أحمد باكثير، الدار المصرية للطباعة

11- ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، ،بيروت لبنان، ط1، 1991، ج4.

12-أبو الفتح الأصبهاني، أدب الغرباء، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديدة، بيروت لبنان، ط1، 1972.

13- الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور ابراهيم السامرائي، دار الرشيد، بغداد، ط2، 1980-1986، ج4.

14- ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، تحقيق محمد حامد حنفي، دار الكتاب، بيروت، 1973، ج3.

15- محمد علي بيوض، الأحاديث القدسية الصحيحة، جمع وتقديم الشيخ زكرياء عميرات، دار الكتب العلمية، ط2، 2002.

16- ميشل فوكو، نظام الخطاب، تحقيق محمد سبيلا، دار التنوير، 1984.

❖ المراجـــع

1. أحمد النعمان، غائب طمعة فرمان، أدب المنفى والحنين إلى الوطن، دار المدى، دمشق، 1996.
2. أشرف علي دعدو، الغربة في الشعر الأندلسي عقب سقوط الخلافة، دار نهضة الشرق، القاهرة،2002.
3. خالد المصري ،غائب طمعه فرمان، حركة المجتمع وتحولات النص، دار المدى ، دمشق، 1997.
4. ابن رجب الحنبلي، كشف الكربة في وصف أهل الغربة، مطبعة النهضة الأدبية، ط1، 1332هـ.
5. زامل صالح، تحول المثال، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،2003
6. زهير شلبية، غائب طمعة فرمان، دراسة مقارنة في الرواية العراقية، دار الكنوز الأدبية، بيروت،1996.
7. زهير عبد السلام، مفهوم الإغتراب عند هاربرت ماركيوز، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2003.
8. سالم بيطار، اغتراب الانسان وحريته، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان،2003.
9. سميرة سلامي، الإغتراب في الشعر العباسي القرن 4هـ، دار الينابيع، دمشق، ط1، 2000.
10. شتا السيد علي، الإغتراب في التنظيمات الإجتماعية، مكتبة الاشعاع الفنية، الإسكندرية،1997.
11. عادل الالوسي، الإغتراب والعبقرية، دار الفكر العربي، مصر، القاهرة، ط1، 2003.
12. عبد القادر عبد الحميد زيدان، التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، دار الوفاء، الاسكندرية، ط1
13. عبد الكريم هلال خالد، الاغتراب في الفن، دراسة في الفكر الجمالي المعاصر، منشورات جامعة قار يونس، ط1، 1989.
14. عمر بوقرورة، الغربة والحنين في الشعر الجزائري1945-1962، منشورات جامعة باتنة.
15. فاطمة حميد السويدي، الإغتراب في الشعر الأموي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1997.

16. فاطمة عيسى جاسم ، غائب طعمة فرمان روائيا، دراسة فنية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2004.

17. فيصل عباس، الإغتراب، الإنسان المعاصر و شقاء الوعي، دار المنهل ، بيروت، ط1، 2008.

18. قيس هادي أحمد، الإنسان المعاصر عند هاربرت ماركيوز، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1980.

19. كاميليا عبد الفتاح، الشعر العربي القديم، دراسة تحليلية نقدية، لظاهرة الإغتراب أبو العلاء المعري، دار المطبوعات الجامعية، الاسكندرية، 2008

20. ماهر حسن فهمي، الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث، معهد البحوث والدراسات العربية، 1975.

21. مجاهد عبد المنعم مجاهد، الإغتراب في الفلسفة المعاصرة، سعد الدين للطباعة والنشر، القاهرة، 1985.

22. محمد ابراهيم الفيرمي، ابن باجة وفلسفة الإغتراب، دار الجيل ، بيروت، ط1، 1988.

23. محمد راضي جعفر، الإغتراب في الشعر العراقي، منشورات كتاب إتحاد الأدباء العرب، دمشق،1999.

24. نبيل عبد الحميد، مدخل لدراسة الفلسفة اليونانية، منشورات كلية بابل للفلسفة واللاهوت ،أربيل ، 2008 .

25. نجم عبد الله كاظم، حوارات في الرواية، دار الشروق، عمان، ط1، 2004.

26. ياسين النصير، الرواية والمكان، المؤسسة الصغيرة، 57منشورات وزارة الثقافة بغداد، 1980.

27. يحي العبد الله، الإغتراب، دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر وطار بن جلون الروائية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1،2005.

- المجلات والدوريات

1. ابراهيم الحريري، لقاء مع القاص والروائي العراقي غائب طعمة فرمان، مجلة الطريق اللبنانية، العدد5.

2. إلهام عون، الرواية الأولى من الأعمال الكاملة لغائب طمعة فرمان(النخلة والجيران)، صحيفة النداء بيروت،العدد 1989/08/13.

3. ابراهيم محمود، حول الاغتراب الكافكاوي، رواية المسخ أنموذجا، عالم الفكر.

4. جورج الراسي، لسان حال الأديب العربي، اللهم لا تدخلني في تجربة، مجلة البلاغ، العدد99-26، 1973.

5. حسن محمد حسن، الإغتراب عند أبي حيان التوحيدي، دراسة فلسفية من خلال الفكر الوجودي، مجلة فصول، القاهرة، العدد3، 1995.

6. حميد الخاقاني، تطور لغة القصة ورؤيتها للواقع، مجلة الثقافة الجديدة، العدد189.

7. محمد خيضر عباس، نزيف الذاكرة في المرتجى والمؤجل، مجلة المنار ، العدد11-12.

8. زهير الجزائري، ذاكرة المكان عند غائب طمعة فرمان، مجلة العدد17 عدد مزدوج، دمشق، 1991.

9. سعد الله ونوس، الوطن في المنفى، مجلة البديل، العدد17 عدد مزدوج، دمشق،1991.

10. عادل كامل، الإغتراب في الفن التشكيلي المعاصر، مجلة الثقافة، السنة العاشرة، العدد04و05 نيسان1987.

11. عبد الرحمن منيف، المنفى والمدينة وجواز السفر، مجلة البديل، العدد17، دمشق.

12. قيس النوري، الإغتراب إصطلاحا ومفهوما وواقعا، مجلة عالم الفكر، مج،10،1988،أفريل ، ماي، يوليو.

13. كاظم السماوي، في ليالي المنفى يرحلون، مجلة الحرية،العدد378،1990.

14. ليلى عثمان، الكاتب الذي إحتمل الغربة وعانى منها، " غائب طمعة فرمان" جريدة القبس الكويتية، العدد7956، الصادرة ب1995/08/17.

15. ماجدالسمارائي:أ/الطموح والتعطش إلى الإمتلاك، إحساس دائم ومتأصل في كل فنان، مجلةألفياء" العدد1974،285.ب/في عالم غائب طمعة فرمان، أفق آخر للرواية، مجلة الأقلام، العدد(4-5-6) نيسان1995.

16. محمد دكروب، مقالة عن غائب بقلمين اثنين، مجلة البديل، العدد17، دمشق، 1991.

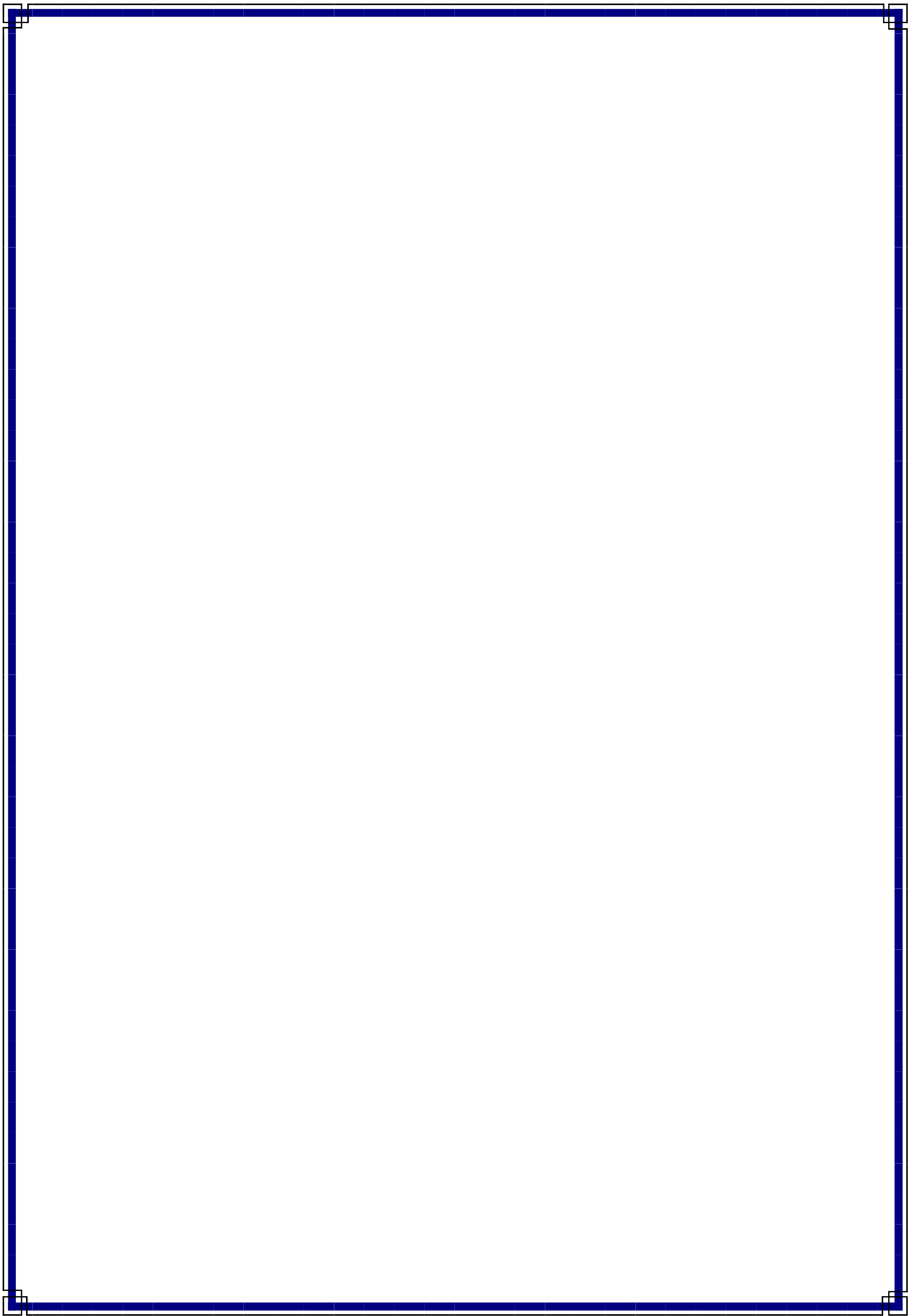
17. هيئة تحرير مجلة الثقافة الجديدة، البدايات، التكون، الغربة، لقاء مع الروائي غائب طمعة فرمان، العدد،189،1987.

الرسائل الجامعيـــة

1. بنعلي قريش، الإغتراب في الشعر الحديث،"1920-1945"، رسالة دكتوراه، جامعة الجيلالي سيدي بلعباس،2008،2007.

2. عبد الأمير محسن عودة، الغربة والإغتراب في الشعر الكويتي والبحريني، رسالة ماجيستير،1980.

فهرس الموضوعـــــــــــات



الملخـــص:

جاءت هذه الدراسة محاولة الإماطة اللثام عن ظاهرة الغربة والاغتراب على اعتبار أنه سمة بارزة طبعت الحياة الإنسانية، وانعكست إلى الأدب بصفة عامة، والرواية بصفة خاصة، حيث تتبعت في الفصل الأول التطور الذي مرت به هذه الظاهرة عبر مختلف العلوم والثقافات مع ذكر أهم أنواع هذه الظاهرة، ورصدت أهم الأسباب الدافعة لظاهرة الغربة والاغتراب، أما الفصل الثاني فتطرقت إلى أهم المحطات التي برزت في حياة الروائي العراقي غائب طعمة فرمان وبعدها قمت بتسليط الضوء على الغربة والاغتراب في روايات غائب طعمة فرمان، وفي الأخير تطرقت إلى تحليل رواياته الثمانية.

تم بحمد الله

Résumé

Cette étude était un tentative de discerner le phénoméne d'émigration et l'immigration Comme une caractéristique(fonction) en vue a imprimé la vie humaine et reflété dans la littérature, particuliérement le roman en général.

Ou' suivi à la trace dance développement de **chapitrel**, qui passé par ce phénoméne par sciench diverse et cultures avecs les types les plus importants de ce phénoméne et observé les raisons les plus importantes derriérele phénoméne et obserbé les raisons les plus importantes derriére le phénoméne d'aliénation et aliénation,l'un ou l'autre.

Le chapitrell Bi aux stations les plus importantes qui ont apparu dans les vies de romancier irakien **ghaib tomaa faramen** et ensuit vous a mis en évdence(surligné) l'aliénation d'émigration et l'immigration dans des histoires **ghaib tomaa faramen**.

Et dans le dernier a traité l'analyse de huit romans.